صفحـات مجهــولـة

أنور السادات

تصـدر عن
دار التحرير للطبع والنشر

المطبعة العالمية - 16 شارع ضريح سعد بالقاهرة

مقدمه بقلم
الرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام أنور السادات، وساءلت نفسي عما دفعني لهذا الإعجاب به، فجاءني الرد المنطقي فورا، أنه مضمونه المتحلي بسلامة الأسلوب، وقوة التعبير، وطابع البساطة في سرد الحوداث، وعرض المواقف، في الوقت الذي أري فيه المؤلف قد تجنب الحديث عن نفسه. فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبري، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التي مرت تحت بصره وسمعه، فجاء كتابه مجموعة لصور حية، جمعتها ريشة رسام ماهر، وصورتها في صورة واحدة، أبرزت من مجموعها حقائق وأسانيد، تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب.

أن شخصية أنور السادات، لجديرة بالإعجاب، خليقة بالإطراء، فبعبقريته العسكرية الممتازة، وشجاعته، ورباطة جأشه، و إخلاصه وتفانيه في خدمة المثل العليا، إلي جانب قوة أرادته، وتنزهة عن الغرض، ورقة عواطفه، وميله الغريزي للعدالة والأنصاف ، كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام في التمهيد لثورة 23 يوليو 1952، والسير بها قدماً في سبيل النجاح.

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا في جميع أدوار حياته، كما أحسن استخدامها في خدمة القضية الوطنية، فنجده قد سجن في شهر نوفمبر عام 1942 بأمر العدو المستعمر، ثم أعيد اعتقاله عام 1944 لنشاطه الوطني، ولكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب، فلم تهن عزيمته، ولم تتزعزع عقيدته، ولا ولم يفت ذلك في عضده، بل ازداد رسوخا وأيمانا،ولا غرو، فعلي قدر أهل العزم تؤتي العزائم، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير، والتفكير مليا، حتى رجع بتمعنه وتأملاته إلي آلاف السنين الخوالي، وطالع ما كان خلالها من مطامع العالم التي شخصت وتجمعت حول هذا البلد الطاهر، فظل الشعب المصري الآبي الكريم رازحا تحت نير الاستعباد، ردحا طويلا من الزمان، متخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان، فما كاد يفر من معتقلة، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية، ومعبرا صادقا للشعور الجامع الذي سري في شعب وادي النيل أجمع، من البحر الأبيض المتوسط حتى أعالي خط الاستواء، مطالبا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان.

ها هو ذا يكافح بهمة لا تعرف الكلل في سبيل المثل العليا، في الوقت الذي نري فيـه الجموع العالمية، تطالب أيضاً بتحقيق العدالة الاجتماعية، ولا جدوي في إنكار مطالبها.

لقد عمل الضباط الأحرار جاهدين، من أجل إذكاء الحماسة في القلوب التي ابتأست، و أشغال الجذوة في النفوس التي اتقدت، حتى يستطيع الشعب الكريم، مجابهة عدوه اللدود الممثل في ثلاث "الملكية.الإقطاع والاستعمار".

كان النظام الملكي الرجعي المنوط بأسرة أجنبية، حائلا دون تقدم الـبلاد، فكـان أول لزام علي الثورة، أن تهدمه تماماً وتقضي عليه، لتفسح الطريق أمام نهضة البلاد، ثم أصـبح لزاما عليها بعد ذلك أن تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضة، حتى تطهر البلاد من ==، وأخيرا وليس بآخره كان لزاما علي الثـورة أن تعبـئ الشعور العام، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة علي عدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكـل ثقة واطمئنان... وقد كان.

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة، في ذلك اليم المتلاطم الأمواج، إذ لم يكـن مـن اليسير مقاومة قوي الانحلال الهدامة، وما إليها من تقاعس وتهاون وخيانة. كان الكفاح طويلا مريرا، ولكن المثابرة لم تذهب سدي، فظلت السفينة ثابتة عاتية تنكسر الأمواج علي دروعهـا القوية الواحدة تلو الأخرى، ومضت السفينة تشق طريقها قدما، فقامت مصر الحديثة، مصـر الجمهورية الفتية.

والآن، وقد استرد الشعب عزته، واستعاد حريته، واصبح يشعر بكرامته، ويدرك حق الإدراك مصالحه العليا، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنيـة والسياسـية، نجد أن الفوارق الاجتماعية التي كانت شاسعة البين، قد انهارت فاسحة الطريـق أمـام القـيم الأخلاقية التي تقدمتها، وقد تضافرت فيها الجهود، وتوجهت بعزيمة لا تعـرف الكلـل إلـي الأعمال الناهضة الإنشائية، فالشعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التـام للعمـل والإنتاج.

لقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها، وستسير بالشعب المصري قدما، في طريق الإنشاء والتعمير، المحاط بجو الهدوء والاستقرار، وستتقدم بالأمة في سـبيل الرقـي والازدهار.

شاهدت مصر في خلال السنوات العشرين الأخيرة، أحداثا بدل لاول وهلة، متشـعبة الأطراف، متعذرة الفهم والإدراك، فإذا ما حققنا فيها النظر عن كثب، لراعنا مـا فيهـا مـن خيوط مرتبطة بعضها ببعض، تقودنا لنتيجة واضحة، فروح السخط التي سادت الجـيش مـن جراء فساد الحكم، والتألم المرير الذي شعر به المصريون أثر احتلال أرض الوطن وعزوف المسئولين عن أجزاء إصلاحات أساسية واجبة، وحرب فلسطين، إلي غير ذلك... فـإذا مـا اقتضينا أثر هذه الخيوط لتكشف أمامنا منطق واضح سليم، أدي بنا للنتيجـة الحتميـة التـي حدثت، وجعلت ما كان يبدو غامضا فى بادئ الأمر، واضحا جليا في نهايته.

لقد حال المؤلف في كتابه الشخصيات والأحداث تحليلا دقيقا، مما جعل الكتاب مرجعا قيما يعتد به، حاولت جاهدا أن أوضح مضمونه وأن ألخص فصوله المتعدد، فلم أجد خير من هذه الجملة المختصرة.

"أنه ولا شك لمن خلاصة البواعث الخفية، والأسباب السيكولوجية، لثورتنا السلمية"

وقف الكتاب قرب منتصف عام 1952، سنة التحرير والبعث، التي سجلت أحداثا خطيرة لبلادنا، إذا ما استعدنا ذكراها، لرأينا عهدا بائدا تغرب شمسه، وعهدا جديدا ناهضا تشرق أنواره.

شكرا للمؤلف فقد أتاح لنا أن نري في الحاضر المزدهر الخصيب، ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر.

جمال عبد الناصر



((القائمقام أنور السادات))

مفاجاة مع الفجر

- ذهب الملك... تحيا القيادة!
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب.
- هل هم من جماعة الأخوان ؟
- أثنا عشر ملكا بدلا من فاروق
- الانحناء دائما سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لا تقبل وحماية من أحد

أن أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته في نهاية اليوم الثاني والعشرين من شهر يوليو عام 1952، فلما اصبح الصباح كان الناس في شبه ذهول.فقد توالت الأحداث منذ الفجر علي صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوق بخياله، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله، في ظلمة الأيام وسواد الليالي، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة...

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته، ينتكس فجأة يوم 26 يناير....ورأي مدينته العزيزة تشتعل بالنار التي انطفأت في اليوم نفسه من معسكرات أعدائه... ورأي أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته، يعودون إلي المدينة مكبلين بالأغلال، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل... ثم رأى نفسه، وقد أصبح في نظر الحاكمين خطرا داهما علي أرضه، ووطنه ومدينته، فألزموه البيت كلما جاء المساء، عقابا له علي انطلاق آماله، وإلزاما له بالتكفير عن خطاياه...

ورأي الإشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله، حلقات الخيانـة والدسـائس تحـيط بحياته، وخمسا من الوزارات تتابع علي مقاعد حكمه العرفي، لم يعرف لماذا آتت، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا في سره وفي علنه...وما كان يملك غير هذه اللعنات، وقـد سـلب القدرة علي العمل، وسدت في وجهة منافذ الآمال...

وفجأة، وبدون آيه مقدمات، تحرك الجيش وتوالت الأحداث وفي صـباح 23 يوليـو، كان الناس بين مصدق ومكذب.. كانت الفرحة تشملهم،ولكنها فرحـة تشـوبها المخـاوف، وتنتابها الظنون والتكهنات لابد البيان الذي طلع عليهم لم يشف نفوسهم، ولم يضئ أمامهم كل المصابيح وجاء الأصدقاء إلي القيادة، ونفوسهم تحترق علي مصيرنا، إذا نحن لم نجهز علي الملك، وإذا نحن حصرنا هذه الضربة في نطاق الجيش وحده، كما فهموا من البيان...

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت إليه البلاد من فوضئ سياسـية وخلقيـة ومعنوية...ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل أن تضيع الفرصة، وتفلت الآمال...

وكان هؤلاء جميعاً أصدقاء... مجرد أصدقاء شبانا مخلصين... ولم يكن بينهم واحـد فقط من رجال السياسية وقتذاك...

ومضي يوم 23

ومضي يوم 24

ومضي يوم 25

مرت هذه الأيام الثلاثة، ولم نسمع فيها كلمة من سياسي واحد، ولم نر فيهـا وجهـا لسياسي واحد...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم، واعتصموا بالصمت والحذر. فلم يتحرك منهم الا أولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق علي عرشه. فهرعوا يقيـدون أسـماءهم فـي سـجل التشريفات... يوم 24.

وجاء يوم 26

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم، وكان قد عـرف في دوائر السياسة أن فاروق قد وقع التنازل وأنه بسبيل مغادرة البلاد في الساعة السادسـة، حتى وقعت المعجزة.

وكانت المعجزة، هي خروج السياسيين من جحورهم، وتقاطرهم علينا وفود، وفود من السياسيين، من جميع الألوان والمذاهب والاتجاهات.تطرق أبوابنا في مقر القيـادة بثكنـات مصطفي باشا، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم...

جاءوا ألينا جميعاً، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل ألامس...ولاء وإخلاصا فـي سجل تشريفات الملك...

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك...

فمنذ الصباح في يوم 27، بدأت كل هيئة سياسية، بل بدأ كل سياسي في هذا البلد، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل...

لا شئ قد تغير، في نظرا السياسيين والهيئات السياسية.

لا شئ، ألا اختفاء شخص الملك، وظهور أشخاص رجال القيـادة... كـان لسـانهم الناطق يقول: ذهب الملك تحيا القيادة!!

وهذا التغير الشكلي، قد يستتبع تغييرا في الأساليب، وتجديدا في أسلحة السياسة، ولكنه لا يستتبع أبدا،تغييرا في الهدف... الهدف الرئيسي لاحتراف السياسة منذ وجد فـي مصـر محترفوها...

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق في سبيل الوصول إلـي أسـلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الأولى لطرده يخوضون معركة جديدة، يقتسمون فيها هـذه الأسلاب والمغانم...

وكان لابد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة... وكان لابـد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة...

وكان هذا البريق، هو المنطق المعقول الذي يحاولون الدخول به إلي الأذهان.فإذا مـا انفتحت عقول الناس لهم، اكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها، لكي يصلوا إلي ما يبتغون.

وكانت عقول الناس فعلا، مهيأة لقبول آي منطق معقول...

وقد رأي الناس أشياء لم يستطيعوا فهمها، وسمعوا عم أسماء لا يعرفون عـن أكثـر أصحابها شيئا، وترددت في آذانهم إشاعات لا يسـتطيعون تكـذيبها لان الحقـائق لا تـزال مستورة عن عيونهم.

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شئ.

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا ومتي اجتمعنا كيف اعـددنا خطتنا وما هي تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننتوي... وهل ادينا مشروعات معدة وماذا يدور في رءوسنا وماذا سوف نصنع... وكيف نجحنا...؟

هل من ورائنا قوة معينة... وما هي هذه القوة..؟

هل في صدورنا اتجاه معين... وما هو هذا الاتجاه...؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يجدوا لها جوابا منا.. ولكـن.. كانت الإشاعات تجيب..!

وانطلقت أول إشاعة تقول أن هذه الثورة، ثورة اخوانية يقودها ويوجهها مـن وراء الستار الأخوان المسلمون.

وكانت هذه الإشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها...

فقد كان أول أجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم في إزالة آثار المضـي البغيض، ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل، وهو الأمر الذي صدر بإعادة التحقيق فـي قضية مقتل المرحوم حسن البنا، مرشد الخوان المسلمين.

ولم يقل الناس أن هذا مصري قد قتل بليل، و أحاطت بالتحقيق في مقتلـه، ظـروف مريبة، واتخذت فيه إجراءات شاذة...ثم طوي علي سر دفين، وقاتل مجهول.. لم يقل النـاس هذا ولم يقولوا أن من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق في هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخـذ جناتها بالقصاص...

ولكن قالوا، أن خلف الثورة، جماعة الأخوان المسلمين..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير...

أن كانت هناك صلة بين هذه الثورة، وبين الأخوان المسلمين...فمتي بدأت!

وإلي أي مدي وصلت؟

وماذا كانت أهدافها؟

وماذا أنتجت؟

وهل استمرت، أم انقطعت؟

وفي جملة واحدة

ما هي قصة الثورة مع الأخوان المسلمين؟

سؤال واحد، يعود بالذاكرة إلي أثني عشر عاما قبل ظهور هذه الثـورة ..إلـي عـام 1940 عندما بدأت قصتنا مع الأخوان.

وهذه القصة لا يعرفها المصريون، ولابد جمهرة الأخوان ولا يعرفها العدد الأكبر من رجال قيادة الأخوان.. وكل ما يعرفه المصريون هو ما ذاع من إشاعات بعد ذلك بأيام.

ومع ذلك... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر، ومن إشاعات.. ومن محاولات...

فقد كان هناك الوفد أيضا...

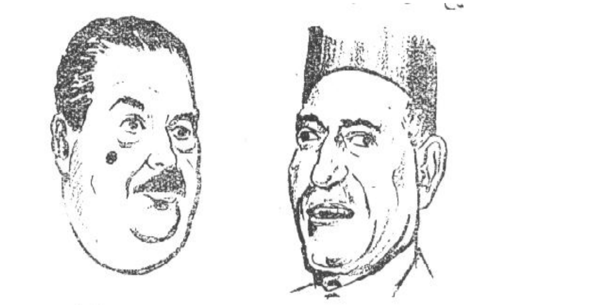
وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون...ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم.

فالناس لا يعرفون أن اتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور الثـورة بـزمن طويـل .. ولا يعرفون أننا في وقت من الأوقات قد وضعنا خطتنا علي أساس أن نأتي بالوفد ونفرضه علي فاروق، كشرارة أولي للثورة، ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر.

لا يعرف الناس شيئا من كل هذا، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره في هذه الخطة، ولا لماذا...

ولكن هذا كله يعرفه زعماء الوفد... الذين حاولوا بعد يـوم 27 يوليـو أن يفرضـوا وصايتهم علي الثورة...وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير مـن الإشـاعات والروايـات، والمظاهر... وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها لم تفكر فيه يوما مـن الأيام!!

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفي النحاس وفؤاد سراج الذين من الخارج في الأسبوع الذي تلا طرد فاروق.



عاد الرجلان... فعاد النشاط إلي أقصاه في صفوف الوفد الاجتماعات المتتالية تعقد...

ومندوبو الصحف يسهرون الليالي في جار الزعامة....

وأعمدة الصحف تمتلئ كل يوم بالأخبار والأسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التي يتخذها رجال الوفد..!

وعاد الشباب الوفدي فورا. يملأ ردهات النادي السعدي، وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الإشاعات، تشكل الوزارة، وتملأ المناصب الهامة في الدولة، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الأحداث الخطيرة المقبلة.

وسمع الماس أيضا هذه الإشاعات... ثم لم يسال أحد منهم له سؤالا واحدا، يستطيع أن يقضي عليها...

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة.

أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا إلي أوربا أبان أعنف الآن السياسية التي وقعت في تاريخ مصر... وخلال أحلك الليالي التي مرت بشعب مصر، منذ احترقت القاهرة، واضطربت كل موازين الحكم فيه أيمكن أن يكون الرجلان قد سافرا إلي أوربا ليفكرا هناك بهدوء فى أمر الشعب الذي يزعمان زعامته، وهذا البلد الذي حطمه الخراب والطغيان.

لماذا يتركان البلاد في محنتها، فلا يعودان إليها إلا يوم يترامي إلي أسماء حديث الثورة، فينبه فيهما شهوة جائعة إلي الغنيمة،وقد ظنا أنه أصبحت سهلة بلا حواس؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر أحد ممن سمعوا إشاعات الوفد تنطلق في كل يوم...

وبينما كان الناس في دوامة الإشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء علي الغنيمة...

وكانت خطة الوفد فذة في نوعها...

فقد بلغ النشاط الوفدي أقصاه، وملأت الإشاعات جميع الآذان إشاعات أن الوفد قد سيطر علي الموقف تماما، وأن قادة الثورة قد أيقنوا أنه لا سبيل لهم إلي تحقيق أي هدف من أهداف الثورة. ألا إذا احتضن الوفد هذه الأهداف...

وكانت عودة النحاس وسرج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التي قام بها النحاس إلي الرئيس في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، من الدعائم القوية التي استندت إليها هذه الإشاعات لتصل الناس في صورة الحقائق الثابتة المقررة.

ولم يبق أمام الوفد ألا أن يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الإشاعات أطلقها.. عنا!

كان الوفد في هذه المرة يسير وفق خطة علي درجة طيبة من الأحكام فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدي جميعا علي اختلاف ثقافتهم وألوانهم...

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والإشاعات والتحركات، هو أشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الأغلبية الذي يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقة التي تستطيع هذه الثورة أن ترتكز عليها، ولا تستطيع أن تعمل شيئا بدونها...

كان الوفد يريد أن يجعل من هذه الدعوى أكرا واقعا، لكي يتسال ألينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الأمر الواقع: أن القاعدة الشعبية الوحيدة في البلاد، هي قاعدة الوفد،وأننا لا نستطيع أن نعمل دون الارتكاز عليها!..

وفي صباح يوم من أيام أغسطس 1952، أي بعد الثورة بأسبوعين تقريبا، أيقظوني من نومي في منزلي لكي أقابل ضيفين يطلبان مقابلتي لأمر خطير..

فدخلت غرفة الاستقبال، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل...

وكان طبيعيا أن نتذاكر شيئا عن الماضي الذي جمعنا في معتقل واحد في عهود الظلم والإرهاب...

ولكنني أحسست أنهما قد أعدا حديثهما، ورتباه ونمقاه، حيث يلقي كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخري، تكملها في نفس الاتجاه وفي صورة الكلام العرضي الذي يجلب بعضه بعضا دون تحضير!

ودخلا فى الموضوع.

قال أحدهما:

- أنت تعلم طبعا تماما أن هذه الثورة ليست ثورة الجيش،و إنما هي ثورة الشعب.. وكل مصري حريص أشد الحرص على أن تصل هذه الثورة إلي أهدافها كاملة، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية نحو الثورة..

أمنت طبعا علي هذا الدخول... فاستطرد الضيف الوفدي نحو هدفه:

- أن الكتلة الشعبية لا تتمثل في أية هيئة أو حزب في هذا البلد، ألا في الوفد... والوفد هو التنظيم الوحيد الذي يستطيع أن يسند هذه الثورة لانه هو الذي مهد لها بل هو الذي بدأها فعلاً...

و أوشك زميله أن يتم الكلام.. لولا أني استوقفته لحظة أساله فيها، كيف بدا الوفد هذه الثورة، وكيف مهد لها..؟ فقد تكون معلوماتي عن قصة الثورة وقصة والوفد معلومات ناقصة...

قال الضيف الثاني:

- ألا تعلم أن هجوم الوفد في الفترة الخيرة علي فاروق هو الذي شجع الجيش علي أن يضرب ضربته..؟ وألا تعلم أن الوفد في الفترة الأخيرة كان يعدى العدة لاعلان الجمهورية...؟ وألا تعلم أنه كان متصلا بكم فعلاً في الجيش؟

وقبل أن أحاول الإجابة... سألني ضيفي في حماس...

- كيف تولون علي ماهر الحكم، وهو الرجل الذي لا يستند إلي الشعب ولا إلي أي حزب من الأحزاب؟

واكمل صديقه قائلاً:

- أن علي ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات، ,وانه فى سبيل أحقاده وكراهيته لبقية الأحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه، ولن يظفر بأيمان الشعب به فى يوم من الأيام...

وكنت ساكتا، لأعطي الفرصة للضيفين العزيزين، فأكمل الثاني:

- أن هذه الثورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئا ما لم تستند إلي أكبر قوة سياسية في البلد وهي الوفد.... ثم أن سراج الدين علي أتم الاستعداد للتعاون معكم في كل شئ.. وأنت تعرف أنه كأن – وهو وزيرا الداخلية – يوعز لنا نحن الشباب الوفدي بالمظاهرات التي تهتف بسقوط فاروق، في نفس الوقت الذي كان فيه يتظاهر بالولاء للملك.. وتعرف أيضا أنه هو الذي كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين..

ولم أكن أنا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شائعاً في البلاد، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا. ولكن كنت انتظر النتيجة التي يريد الضيفان أن يصلا إليها.

ولم تطل الجلسة أكثر من ساعة ونصف.. ولم تزد الطلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو أن تتم مقابلة بيني وبين فؤاد سراج الدين نتفاهم ولم يكن ما يمنع من هذه المقابلة.. وقد تمت فعلاً.. فقابلت سراج الدين، وقابل هو غيري أيضا من الزملاء.

وكانت مقابلات مثيرة.. رأينا فيها أمورا كثيرة علي حقيقتها وفهمنا ما أراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها...

و أكملنا بها قصة الوفد...

ولكن الناس لا يزالون يجهلونها .. بل يجهلها الوفدين أنفسهم...

وكل الذي عرفه الناس في فجر هذه الثور، هو ما أشاعه الوفدين من أنهم " أسياد الموقف، شاءت الثورة أم لم تشأ!"وما دعموا به اشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد!

كانت اسطوانة واحدة، يرددها سراج الدين كما رددها الضيفان اللذان أشرت أليهما، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات...

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به، ونكتفي بالابتسام.. فقد كنا نري أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسي العهد الماضي، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن في بنائه و إخراج مسرحياته...

وكنا نبتسم أيضا. لان هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم " أسياد الموقف. شاءت الثورة أم لم تشأ" كانوا يتحدثون ألينا بلهجة أخري، بنفس اللهجة التي كانوا يتحدثون بها إلي فاروق.. وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة إلي هدف واحد، هو نفس هدفهم في أيام فاروق: الحكم...

وكانوا في الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها.

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفضح بنفسه...بصورة ظاهرة.

بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق أبهته وصولجانه وهي سلطات تكفي إذا وزعت علي أثني عشر رجلا، أن تجعل منهم أثني عشر ملكا لا ينقص أحدهم شئ من مظاهر الملك وسطوته...

- **واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم، وكل مسئولية..**

ثم أردف في إغراء واضح:

- **ونحن علي أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به**

وظلت هذه الجملة تتردد في أذني وقتا طويلا...

أنها نفس الكلمة التي كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتي به الحكم البلاد باسم الشعب.

أنها الدستور الفعلي الذي جري عليه حكم مصر، منذ وجد فيها الدستور وبرلمان.. فقد كان دستور الشعب صفحات من الورق، تغطي بها النواحي الشكلية للحكم" الديمقراطي!!" في البلاد... أما الدستور القائم المعمول به، فقد كان دستور" الانحناء" كان الدستور يتلخص في هذه الجملة أنقذا " ونحن علي أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به!!".

وهذا الدستور الذي أراده الوفد لهذه الثورة أيضا..!

هل تغير شئ في نظر السياسيين؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبلة؟!

أبدا.. لم يحدث أي تغير.. ألا أن شخص فاروق قد غاب، ليظهر في مكانه أشخاص رجال القيادة .. يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته.. ويتركون مسئولية الحكم للأسياد الموقف، يسوسونه، لا بما تشير به مصلحة هذه الشعب، ولكن بما تشر به نحن.. أصحاب الصولجان الجديد.

أنها سياسة الوفاق التي بدأها سراج الدين مع فاروق، أراد أن يضطلع بها معنا نحن أيضا.

آن رجال الوفد، أسياد الموقف، و أصحاب الأغلبية، والمسيطرون علي القاعدة الشعبية في البلاد، هم علي أتم استعداد لان يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم، علي ألا نتحمل آيه مسئولية مباشرة. وهم بهذه الصفات كلها كفيلون بإقناع الشعب.. وتنفيذ رغباتنا.. نحن أصحاب الصولجان الجدد!!

أنه سياسة" ذهب الملك تحيات القيادة!" التي اعتقد السياسيون انهم قادرون علي طينا وفرض وصياتهم علينا.. والعودة إلي استلاب مغانم الحكم.. الذي لم يكن يعني في نظرهم الا الأسلاب والمغانم...

كانت البلاد في واد السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا في واد آخر سحيق...

كانت البلاد تفكر في أهدافها التي طال عليها انتظارها.. كانت تفكر في الوسائل العملية التي تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير.. من الاستعمار الجاثم صدرها. من آثار الملكية البغيضة في ربوعها وفي نفوس أبنائها من الإقطاع الذي يهدد كيانها.. ولكن الزعماء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشىء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودا إلي كتم أنفاس هذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة، ليظلوا مسيطرين علي مصيره متحكمين في ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات أرضه..

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين أردنا في يوم من الأيام أن نفرض الوفد علي فاروق كجزء من خطة كبيرة درسناها في وقتها بإمعان و أحكام.. وعندما تخاذل الوفد عن تنفيذ دورة في الخطة، ولم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه .. خوف.

ولكنه لم يكن خوفا، وكان شيئا آخر سيظهر جليا عندما يقرأ القارئ قصتنا مع الوفد!

أن قصة الثورة، قد اتصلت في فصول منها بالإخوان المسلمين واتصلت في فصول منها بالوفد..

وقال البعض أن الثورة قد أصبحت في حضانة الوفد...

وقلنا أنها صورة مصرية لمصر...

أما لماذا اتصلت بالوفد.. ولماذا اتصلت بالإخوان.. وكيف كانت هذه الاتصالات، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب.

فكرة العمر

- **نار علي جبل الشريف...**
- **السلطان عبد الحميد في منقباد...**
- **أسود علينا عبيد للإنجليز...**
- **برقية من تشمبرلين ...**

- **رفضنا تسلم سلاحنا للإنجليز...**
- **انقلاب عسكري في مرسي مطروح...**

يظن كثير من الناس أن هذا الثورة، دبر لها تشكيل من الضباط أثر حادث معين جمعهم علي هدف وتدبير...

وفي أجواء الظنون، تجد الإشاعات كثيرا من نقط الارتكاز. تجد النقطة الأولى في حرب فلسطين.. بين أشلاء الضحايا و خيانات فاروق وعصابته...

وتجد النقطة الثانية، في تحقيقات الأسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته..

وتجد النقطة الثالثة، في تصرفات الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم في أحذية فاروق.

ولقد كانت كل هذه الأحداث فعلا، من الأحداث التي شغلت اهتمام الضباط الأحرار، واستحثت خطاهم ولكن نشاة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الأحداث..

فقد نشأت هذه الثورة نشاة طبيعية، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت في كل مراحلها، تفاعلا قويا بين ضمير جيش مصر، وضمير شعب مصر..

متي نشأت آذن.. وأين نشأت؟.

لنرجع إلي الوراء...

إلي عام 1938.

ولنذهب إلي منقباد...!

في هذه البيئة المصرية الخاصة، حيث يشعر المصري, بعناصره العريقة تملأ كيانـه وتسيطر عليه...

وفي الشتاء .. حين يقسو الجو، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بـين الأصـدقاء، يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها علي عواء الرياح.

هناك حول نار في معسكر المناورات بتباب الشريف، كنا طرفا من كل ليلة.. أصدقاء كلهم صغار السن، صغار المناصب، كبار الآمال وافرو الشباب...

ضباط لم تزد رتبة أحدنا عن الملازم ثان... نتحرق طول النهار في الجبـل، فكانمـأ الجبل مرآة تعكس نار القلوب...!

- وكانت في القلوب نار.. نار تنطفئ لان وقوها يتجد في كل لحظة من احساسـاتنا الشابة المرهفة... ومما يقع أمام أعينا كل يوم من الصباح إلي المساء...

كانت آمالنا الكبيرة، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث. فقد كنا ضباطا صغارا...

وكان لنا قواد...

وكان هناك أيضا... إنجليز...!

وكان قودانا المصريون لاعمل لهم ألا إذلالنا.. وألا الانحناء أمام الإنجليز...

وكنا نري هذا الوضع الكريه، فنحترق.. ونسخط.. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم...

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل في داخل النظام العسكري وفي تلك الأوضاع الهيبة ألا أن يسكت، ويكظم الغيظ، ويدفن النار في حشاه...

ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا

ففي جو من الصداقة والألفة، كنا نجلس فنمزح، ونذيب في هذا المرح، شـقاء اليـوم الطويل.. شقاء الجسد، وشقاء النفس وشقاء الغربة في جبل بعيد...

ولا ندري لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رفيق وديع، عامر النفس بالصفا لـم يكبرنـا سنا، ولا رتبة... فقد كنا جميعا أبناء" دفعة"!.

ولكنه كان الملتقى الذي جمع صداقتنا جميعا.. كنا نمرح، فنضحك عاليا، ونسخر من كل شئ.. ولا ترحم ألسنتنا أحدا.. وأحيان نغني..

وكان يصنع كل ما نصنع، ولكنه كان مع ذلك أيضا، يفكر... يفكـر بقلبـه، ويفكـر بوعيه.. ولا نكاد ننطلق في المرح، حتى نجد موضوع هادئة ...يثيـره بيننـا جمـال عبـد الناصر...

وربما كان موضوعا شخصيا، وربما كان موضوعا عاما.. وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا، يثيـر بيننـا مناقشـة طويلـة... هادئة...

وكان جمال يطوي نفسه علي كثير من الآلام الشخصية.. آلام يذكرها منـذ توفيـت والدته وهو صغير، فأثرت وفاتها في حياته تأثيرا كبيرا..

لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التي طبعت حياته حتى اليوم.. وكان إلـي حيائـه وهدوئه، يمثل الشخصية الكاملة لابناء الصعيد.. فهو يكيف الحياة بمثله" الصعيدية" الخاصة، فتجده وديعا رقيقا ملئ الصدر بالحنين، إذا لمست نفسه عاطفية قد لا تحرك أحدا من النـاس .. ولكنه ينقلب أسدا هصورا، في اللحظة التي يشعر فيها بأن أحدث، فكر مجرد تفكير فـي الاعتداء عليه...

كان هذا الصديق بيننا، صورة حلوة للإخاء، والصداقة والاتزان، والهدوء والكرامة.. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا فكأنه في سكوته وهدوئه وطابعه الخاص، معني مجسم حي، لكل المعني والانفعالات التي يمكن استخلاصـها، مـن تفاعـل العواطـف الإنسـانية المتضاربة، في إنسان.. قست عليه الحياة...

وهكذا.. وحول هذا الرجل، التأمت مجموعة من الضباط الصغار الأصدقاء.. لم يكن يدري أنها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر، وأن اجتماعها في تلك التباب البعيدة لن يكـون

صدفة تمر. ويتشتت من بعدها الشمل الأصدقاء و إنما سيكون البدء الحقيقي لجهـاد عنيـف ومحن، كثيرة وعمل خطير.

وأن كنا قد أخذنا قودانا الكبار في ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فـي سـاعات المرح فقد جاء اليوم الذي لم تعد فيه السخرية تغني عن الآمنا شيئا..

فقد القي

علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل إليها حتى شعرة بأن الذي وصل غاز من غزاة الترك!

كان يري نفسه بيننا مثلما يري السلطان عبد الحميد نفسه بين معالم أسطنبول الآمـر الناهي الذي لا يناقش..

وأصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التي وصل فيها اللواء محمود سيف إلي منقباد.

كان هذا هو أسمه.. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد.. لانه كان يفـرض علينـا تقاليد السلاطين.

و بدأنا نيأس من خدمة الجيش.. وأعد بغضنا استقالته فعلا من هذا الجيش الذي يضم بين قواده.. السلطان عبد الحميد!

ولكننا نري صبر جمال فنعجب.. ونري هدوءه وصموده لهذا الذل الطويـل فتسـكن نفوسنا، فقد كان جمال يعيش بأمل لم نحلم نحن به في تلك الفترة السحيقة مـن حياتنـا فـي منقباد...

واشتدت الصلات بين كل منا، وبين المجموعة الكاملة.. حتى أصبح كل منـا يفكـر بعقلية الكل واصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يومـا بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا، لان كل عمل يأتيه غرد منها سينسب إلي الجماعة شاءت أم لم تشأ.. عملت بالآمر أم لم تعلم..!

وأني لا ذكر تلك الأيام والليالي، أذكر مرحنا وآلامنا وأيام صداقتنا الجميلة الأولى... والسلطان عبد الحميد الذي أراد أن يذل رقابنا، كما ذل رقبته الإنجليز، وراح يتجـول فـي صورة شرسة مضحكة مبكية معا في منقباد.

اذكر كل هذا، واذكر أننا في خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب.. بـدأنا نفكـر ذات ليلة...

وقال جمال:

أنهم الإنجليز أصل بلائنا كله...

وكانت مفتاح تفكير طويل.. لم يلبث أن اصبح خطي عملية متتابعة...كنا جميعا نعلـم أن الإنجليز هم أصل بلائنا كله.. وكنا جميعا نكره الإنجليز.. ولكن هذه الكلمة قالها جمـال، وكأنه يحدد لنا رسالة كبري، لا ينبغي أن يتخلي عنها أحد.

وشهدت تباب الشريف، والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا... ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار.

لم يربطهم بعمل معين، ولا بزمن محدد/ ولكن ربطهم.. بفكرة الحياة و بـدأنا نجمـع حولنا أنصارا لفكرة الحياة، كل منا يختبر عددا من الضباط الآخرين.. ويكون فـي محيطـه خلية صغيرة يثير فيها هذه الفكرة، ويري مدي استعدادها للعمل يوم يأتى وقت العمل...

و بدأنا نخطو الخطوة الأولى فنحسب لها حسابا ونلقي الكلمـة فتفكـر قبـل إلقائهـا مرتين...

بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصـاد فـي الأمل.

لقد قتل جمال فينا المرح، وكنا في شرخ الشباب!!

وجاء الدرس الأول الذي أفدناه بعد ذلك فأصبح درس حياتنا.. فقد مرت أيان قليلـة.. كنا فيها لانزال في فترة تكويننا الأولى..وإذا بالشىء نسيناه جميعا يقع.. وكنا خليقين بتوقعـه فإن ضابط الجيش لا يستقر في مكان واحد طويلا... وأن هي ألا لحظة مفاجئة، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا.. واحد في الإسكندرية والثاني في طنطا، والثالث في القاهرة.. والرابـع فـي مرسي مطروح...

وكانت الحرب إذ ذاك قد بدأت. والأعصاب توترت ورأينـا حلمنـا الكبيـر يـذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندي عالقة بزهرة أو تذوب في شعاع الصباح.

وافترقنا...

ولكن الحلم لم يذب.. والفرقة لم تستطيع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة في أقسى الظروف التي حلت بها.

وفهمنا مع الأيام هذا الدرس وهو أن الصداقة القوية عند ما تقوم علي نقـاء وطهـر وعندما تتركز أيضا حول فكرة فإنها قادرة علي الحياة مهما غرقت الحياة بين الأصدقاء. بل هي اكثر من ذلك تستطيع، وحدها صنع المعجزات.

والذي وقع بعد تلك الأيام، هو الأثر القوي لهذه الصداقة النقية التـي ربطتنـا.. فقـد فرقت الظروف كثيرا، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا..

وكنا إذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة، وكل ما هناك أن أحدنا كـان يجـد الفرصة للعمل، فيعمل.. يعمل مستقلا بإرادته في ظاهر الآمر، ولكنه في حقيقته يكون مقيـدا بإرادة الجماعة المتمثلة في فكرتها الكبيرة.. وعهدها المقدس.

وقد تختفي من بيننا أسماء في كثير من الأوقات كما اختفي أسم جمال عبـد الناصـر عامين كاملين، بين ديسمبر 1939 وديسمبر 1941. إذ كان في هذه الفترة قـد نقـل غلـي السودان.

ولكن الذي كان يبقي في ميدان العمل.. كان يعمل... يعمل بارداته ولكن باسـم هـذه الجماعة وفكرتها الأصلية ويعمل بارداته ولكنه يرجع إلي من يستطيع الرجـوع إليـه مـن جماعتنا.. في كل فرصة تواتيه لذلك...

ولم تعد الأيام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدأت أحداث كثيرة تقع... بدأت بالحادث الأول عام 1940... وكان ميدانه ميدان القتال في مرسي مطروح.

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد.. وتفرقت جماعتنا بين وحدات الجيش في مختلف أنحاء البلاد.. وبين السودان العزيز...

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل من منقباد إلي أمبابة.. وبعـد شهر واحد نقل إلي العلمين، وقضي هناك أربعة شهور، ثم نقل مرة أخري إلي أبي زعبـل، ومنها إلي السودان...

وفي فترة تنقلات جمال جمع علي فكرة عدداً آخر من الضباط...

زكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا...

ولم نكن نعرف علي درجة وجه التحديد ماذا سوف نعمل. لقد كان هـدفنا أن نقـوم بدورنا في تخليص البلاد من جنود الإنجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب، وقـد سيطر الإنجليز علي كل مرفق من مرافقنا.. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا.. بـل لقد كنا نحارب إلي جانبهم أيضا..

وسنحت أول فرصة لنا في مرسي مطروح.. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم تسـتطيع أن تحقق منها هدفا كبيرا.. واستطاعت هي أن تكشف للإنجليز عن وجود اتجاه عملي ضدهم في جيش مصر...

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة.. فقد بدأت جيـوش إيطاليـا تغزو منطقة مرسي مطروح..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات:

قطاعين بريين، يحتلها الجيش المصري. وقطاع بحري يدافع عنـه الإنجليـز.. كنـا نحارب.. رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب.

وكانت سياط العذاب التي تلفعنا نحن الجنود والضباط، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الأحداث المتعاقبة التي تمر بها البلاد.

كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعا.. ولم يكن من السهل تحديده في صورة مفهومة واضحة.

وكان من المؤكد أن هذا الموقف أن تحدد، فلن تكون مصر هي التـي تحـدده علـي التأكيد...

كانت سياسة مصر التي أعلنتها رئيس حكومتها عند إعلان الحـرب هـي سياسـة " تجنيب مصر ويلات الحرب".

ولم تكن مصر تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة أوضح مـن هـذه أو أكثـر جسـما وتحديدا.. فقد كانت هناك المعاهدة.. وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا، وطائراتهم تجثم علي

صدور مطاراتنا وتنطلق منها إلي الميادين القريبة الحافلة بالموت... ودباباتهم تختـال فـي شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه.. ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادي بالبـارود والقنابل وأسلحة الدمار.. وكانت أرضنا فوق ذلك حقلا كبير يشرب حبات العرق من جبـاه آباءنا وأخواتنا ليخرجها قمحا للغاصبين..

وكان موقفنا نحن ضباط الجيش وجنوده، هو الموقف الضنك.. فسياسة " تجنيب مصر ويلات الحرب" لم يكن معناها أننا لن نحارب فعلا .. وكان الذي يشقينا هو أن نسال أنفسـنا: نحارب من أجل من ؟!

فهل كانت سياسة" تجنيب مصر ويلات الحرب" تحمل هذا المعني واضـحا وترسـم خطته كاملة إلي نهايتها!

لقد كانت تشير إلي شئ ، أو ترنو إلي

وهذا الشيء وهذا الأمل هو الذي فهمته مصر منها..

وفهمه الإنجليز أيضا

فهمته مصر، فحاولت أن تستبشر به وفهمه الإنجليز فأبرق رئيس وزرائهم" تشمبرلين " إلي سفير إنجلترا" كليرن" برقيـة قصـيرة حاسمة:

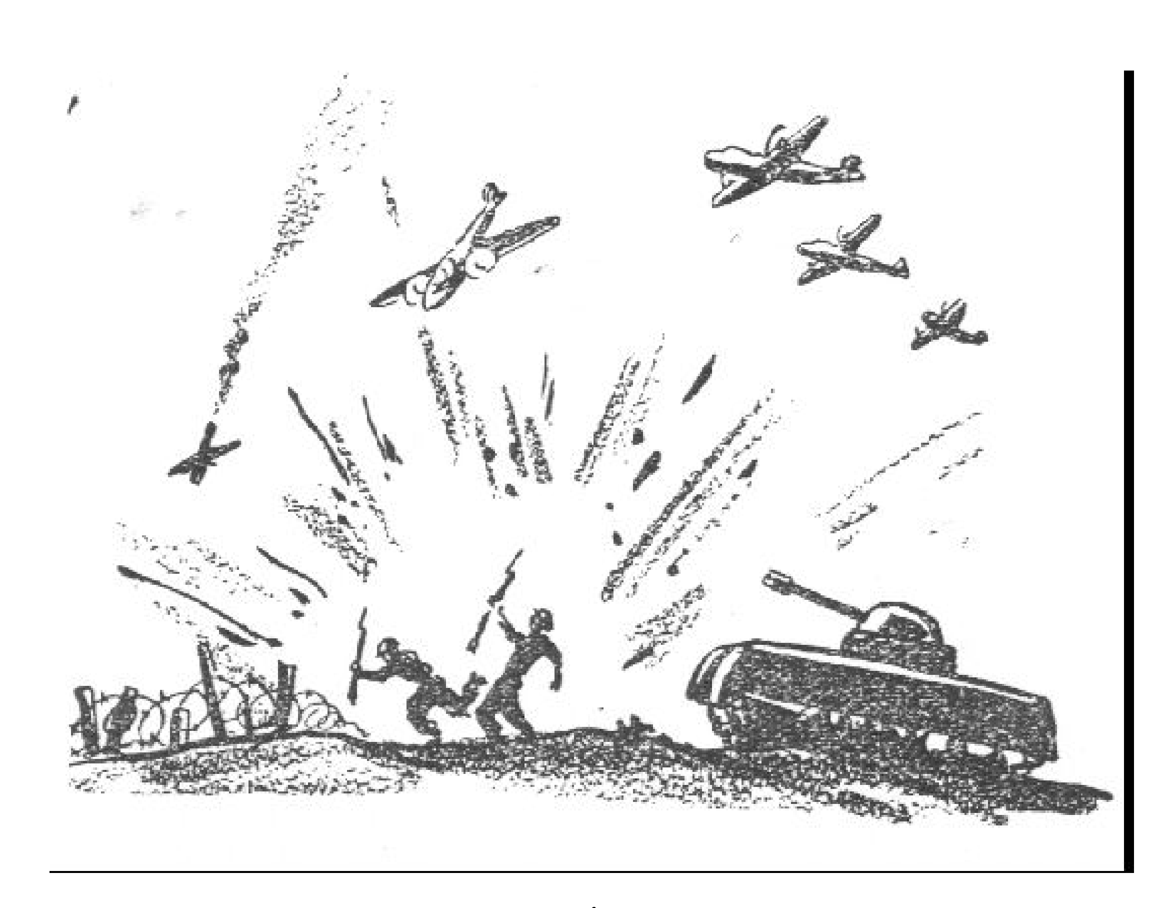
أى: يجب أن تستقبل حكومة علي ماهر..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذي لا يرد.. فاستقالت فعلا حكومة علـي مـاهر، لأنها أشارت بسياستها إلي شئ ورنت إلي أمل، وفهم الإنجليز الشىء والأمل!

لم يكن أمر مصر أذن في يدها، بل كان في أيدي الإنجليز.. وكنا ننظر إلي المستقبل علي هذا الوجه، فلا يلبث أن يرتد إلي الماضي.. إلي الحرب العالمية الأولي التي سيقت فيهـا مواكب آبائنا مسخرين إلي ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا في أحشـائها، ويحملـونى الروث ليدفنوا تحت أكوامه، ويلعقون العرق ليوفروا كؤوس الشراب للإنجليز!

ويجلب الماضي صور بعضه بعضا، فلا يشير إلي بارقة أمل في مستقبل البلاد تحت هذه الأوضاع...

يجلب صورة الثورة المجيدة التي أشعلها الشعب عام 1919 فأطفأها زعمـاؤه يـوم وصلوا إلي الحكم واصبحوا أحزابا.. مطايا للإنجليز...



ويجلب صورة الثورة المجيدة التي أشعلها الشباب عام 1935 ليجمع الأحـزاب فـي حزب واحد لمصر، فاجتمعت الأحزاب في حزب في حزب واحد ليوقـع معاهـدة الصـداقة والتحالف مع الإنجليز!

ويجلب صور شقاء كثير! فقر، وعري، وانقسامات وتضحيات ودماء.. يتحالف فـوق أنقاضها الزعماء والإنجليز!

وما تغير الزعماء

ولا خرج الإنجليز...

ولكن قامت الحرب.. وبدأت بوادر شقاء جديد.

ماض كله حسرات، ومستقبل كله مخاوف، وحرب قائمة لابد أن تصلاها، حتى فـي ظل" سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب".

و فجأة علمنا أن أوامر من قيادتنا ستصدر لنا.. وعلمنا هذه الأوامر أيضا وكانت هذه الأوامرـ تقضي بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع في القطاعين البـريين لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلها.

وإلي هنا كانت الأوامر بسيطة يمكن قبولها، ولكن الشق الأخير فيها كان يقضي بـأن نترك سلاحنا، ونسلمه للقوات البريطانية التي ستحتل القطاعين وهاج الضباط وماجوا...

وتحرج الآمر جدا...

وصممنا علي ألا نترك سلاحنا.. ولو أقاضى ذلك أن نموت عن أخرنا.. وكنت أجـد في هذا الأجراء فرصة مناسبة،لتجعل من " فكرة الحياة" حقيقة مجسمة، يشـارك فـي حمـل أعبائها الجيش كله، والشعب كله أيضا .

وكنت أعتقد أن أي احتكاك منا بالإنجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام إلي الأمام...

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشي أحمد حسن الملحق العسكري الآن في روما، وجمع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشي بلا استثناء.

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة، تسمي" القوة الحقيقية"... وكانت تتكون من خلاصـة الجيش المصري، تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الأسلحة الأخرى..

فوضعنا خطتنا علي أساس أن تعود هذه القوات، فتحتل وهي في طريقها إلي القـاهرة



كل المواقف العامة، ثم تفرض حكومة علي ماهر مرة أخري، بعد استقالته المعروفة المدوية..

كنا إذ ذاك في شهر سبتمبر، وكان علي ماهر قد استقال في شهر يوليو. وكان الشعور القومي ضد الإنجليز قد بلغ أقي مداه في البلاد..

وصدرت الأوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا.. فرفضنا ترك السلاح وتقـدمنا إلي القاهرة...

و لاكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا.. فقد أدركنا علـي أساس تقدير الموقف، أننا لن نستطيع أن ننجح فيها إلي نهايتها...

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة.. واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فـي مرحلـى جهادنـا الأولي.

وعلي الرغم من كل الأحاديث التي دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التي كنـا قـد بدأنا نقوم فعلاً بها، فإن الإنجليز لم يكتشفوا منها أي شئ ..ولكنهم في الوقت نفسـه أدركـوا سيطرة روح العداء لهم علي ضباط الجيش الصغار.. وأيقنوا أن هذه الروح قـد تلعـب دورا أخطر من ذلك الدور في يوم قريب.

وبدأنا نحن نكون هدفا لعيون الإنجليز حيثما كنا.. في القاهرة أو في أي سـلاح مـن أسلحة الجيش ننقل إليه...

والكسب الأكبر الذي كسبناه من هذه الحادثة، هو عودتنا إلي القـاهرة فقـد جمعتنـي القاهرة فورا بجميع أصدقاء منقباد.. ماعدا جمال الذي كان لا يزال في السودان...

وفي القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز... واخذنا نفكر في شئ تقوم بـه علـي أساس من الدراسة الكاملة، وبحيث يكون توقيته الكامل في أيدينا نحن لا في أيدي الظـروف وحدها.

وكان في خيالنا رجلان.. نريد أن نتصل بهما، وأن نشركهما معنا في عملنا الكبير...

علي ماهر... صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية.



وعزيز المصري رئيس هيئة أركان حرب الجيش، وهو الرجل الذي وقـع اختيارنـا عليه عندئذ، لكي يقود ثورتنا.

وحاولنا أن نتصل بعلي ماهر، فلم نستطيع...

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصري، فاستطعنا.. ولكنا اتصلنا فـي طريقنـا إليـه... بالإخوان المسلمين أيضا..!

<u>صدقة ورجلان..</u>

- **الرجل ذو العباءة الحمراء...**
- **أجازه إجبارية لعزيز المصري.**
- **لواءات يخونون جيش مصر.**
- **اذهب إلي هناك وأقطع تذكرة..**
- **اتهام عزيز المصري بمحاولة قتل نازلي..**
- **فاروق ينام في لندن بملابس السهرة!**

الزمـن: ليلة مولد الرسول من عام 1940

والمكان: سلاح الإشارة في المعادي

وكنت إذ ذاك ضابطا برتبة ملازم في هذا السلاح..

ومولد الرسول في مصر، موسم من مواسمها، يعرف الأطفال فيه عرائس الحلوى، والأحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب..وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الأغنياء، الحلوى الحمصية والسمسمية.. ثم.. لا شئ بعد ذلك..!

وعلي هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة، كما مرت بها دائما ولكنها لم تمر بي كذلك، فقد كانت، من حيث لا أدري ليلة البدء لأحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون أطرافا منها، بعضها خافتا كالهمس، وبعضها مدويا.. كالقنابل والمتفجرات!

كنا جلوسا في إحدى غرف السلاح، نتناول العشاء ونتكلم...وكان جنود هذا السلاح، واغلبهم بطبيعة عملهم في سلاح الإشارة فنيون متطوعون قد اعتادوا مني كثيرا أن احاضرهم واعتادوا مني دائما أن أتناول طعامي معهم، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثوني بمثلها.

كنا في أثناء استراحتنا وطعامنا، أخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا.. ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء في ليلة مولد النبي جندي من جنود السلاح الفنيين، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه الجلسة، وقدم إلينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئا كثيرا..

لم أكن أعرف هذا الرجل إلي ذلك اليوم، ولم يثر دخوله ولا ملبسة اهتمامى، ولم يلفا نظري.. وكل ما هناك أني صافحته ورحبت به، ودعونه إلي تناول العشاء معنا، فجلس وتناول العشاء..

وفرغنا من الطعام، ولم اعرف عن الضيف شيئا آلا بشاشة في وجهه ورقة في حديثه وتواضعا في مظهره.

ولكني عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكري مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقي الأول بيني وبين هذه الذكري..

كان في سمات هذا الرجل، كثير مما يتسم به رجال الدين:

عباءة، ولحيته، وتناوله شيئاً من الدين بالحديث...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين.

ليس الكلام المرتب، ولا العبارات المنمقة، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق،ولا التزمت في الفكرة، ولا إدعاء العمق، ولا ضحالة الهدف، ولا إحالة إلي التواريخ والسير والأخبار.



المرحوم حسن البنا

كان حديثه شيئا جديدا...

كان حديث رجل يدجل إلي موضوعه من زاويا بسيطة ويتجه إلي هدفه من طريق واضح... ويصل أليه بسهولة أخاذة... وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الأخوان المسلمين...

وانتحي الرجل بي ناحية، وتجاذب معي حديثا قصيرا أنهاه بدعوتي إلي زيارته في دار جمعية الأخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء...

كانت الجمعية إذ ذاك لا تزال في دارها القديمة التي تشغلها الآن شعبة الجوالة التابعة لها...

وذهبت يوم الثلاثاء.

لم أكد أضع قدمي في مدخل الدار، حتى شعرت بكثير من الرهبة، وكثير من الغموض...

دخلت من حجرة كبيرة جدا، من هذه الحجرات التي عرفت بها الأبنية المصرية القديمة...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لانفذ من باب صغير...

ونفذت من هذا الباب، لألقي أمامي شيئا كالحجرة، أو شيئا كالممر الطويل بين حجرات..

وانما كان مكتبة..

كان صفوفا طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون...

وعلي بعد كبير في آخر هذا الممر.. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقا قويا، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه.. مرشد الأخوان.

وتحدثت مع الرجل طويلا في ذلك اليوم...

ولكنه لم يفتح لي كل نفسه...

تحدث معي كثيرا.. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبدا.

وحصر نفسه في هذه الدائرة، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئا فشيئا حتى أصبحت أفقا كبيرا مليئا بالمعاني...

ورغم كل المحاولات التي بذلتها فقد فشلت...

ورغم كل ما تطرق إليه الحديث من شئون الجيش، فقد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين، وإهمال الناس له ورسالة الأيمان التي يجب أن يرتكز عليها جهادنا، ووجوب نشر هذه الرسالة في صفوف الجيش.

وتكررت زياراتي بعد ذلك للرجل.

وبدأنا نتحدث في كثير من الشئون العامة.. وبدأت أوقن الرجل يطوي صدره فعلا علي مشاريع كبيرة وخطيرة.. لا يريد أن يفصح عنها .. كما أيقن الرجل أيضا أني لا أنتوى الانضمام إلي جمعيته، ولعله شعر أو أدرك أني أعمل شيئا, وأني لست أعمله وحدي...

ولم يرد الرجل أن يعرض علي الانضمام إلي جمعيته، كما أنه لم يحاول آن يسألني عن أي صلة إي بآخرين.. ولكني فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة في مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام..

وفي يوم تقابلت معه، وكنت ثائرا مكتئبا تملاني المرارة والألم...

فقد صدرت الأوامر في ذلك اليوم بإعطاء الفريق عزيز المصري أجازه إجبارية من رياسة أركان حرب الجيش.

وكان معلوما لنا أن وراء هذه الفعلة أيدي الإنجليز.. وكان مجرد العلم بهذا كافيا لإثارة نفوسنا.. ودفعنا إلي أي عمل قد يراه الكثيرون، في مثل ظروفنا- من أعمال الجنون.

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصري لجيش مصر من قوة ومتعة

وكنا قد بدأنا نتعيش بالنهضة الفعلية التي بعثها الرجل في الجيش.

وكنا نسمع كثيرا من القصص التي تروي عن محاولات عزيز المصري الإصلاحية، والمشاكل والعقبات التي توضع أمامه، والأحابيل والشراك التي تنصب له. والتي عرفت بعد ذلك للآسف الشديد أن الذي كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصري نفسه .

وكنا قد تحققنا من الشرك الأخير، شرك الخيانة الحقيقية تقع من ضباط كبار...

فقد جمع الفريق عزيز المصري لواءات الجيش ليسألهم عن مدي حاجتهم في أسلحتهم إلي جهود البعثة الإنجليزية ، ومدي-ما حققته هذه البعثة فعلا من الإصلاح...

وكان الجيش كله، ما عدا هذه الفئة يتمني اليوم الذي تزول فيه وصمة البعثة الإنجليزية من وحداته واسلحته.

وتكلم عزيز المصري مع الضباط الكبار كلام مصري لمصريين وكلام قائد لضباطه...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا ولكن لكي يذهبوا إلي السادة الإنجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم... وعادوا إليه فرادي...

عاد كل منهم. وطلب مقابلته لكي ينهش في لحم الآخرين.

ولعل كلا منهم كان يرمي من وراء ذلك إلي الظهور أمام الرجل بمظهر الوطني، نفيا للشبهة عن نفسه، وإلصاقا بها في الآخرين، وإذا حدث أن وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة...

ولكن عزيز المصري، فهم كل شئ، وأدرك أنه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم أخاه ألا في خسة النفس وبطلان الضمير...

ولم تكن خيانة اللواءات هي كل ما أحاط بعزيز المصري من الشراك.. فقد كان الإنجليز أحرص من ألا يرصدوا عليه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين علي شهادات دراسية عليا، والحاصلين علي شهادة إنجليزية فذة في نوعها هي شهادة التخصص في أعمال التجسس للإنجليز[1].

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه.

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك.

وجاءت الإجازة الإجبارية لعزيز المصري كنا قوس كبير يدوي في آذاننا لكي نبدأ العمل...

***

وطال الحديث عن عزيز المصري، ولاح مني شدة اهتمامى بهذا الموضوع،أبديت رغبة شديدة في ضرورة لقاء هذا الرجل الذي كان موقفه محرر تفكيرنا..

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت علي الانتهاء، حين قدم إلي المرحوم حسن البنا وريقة..

---

[1] نؤكد أن سليمان محمود الذي شغل في وقت من الأوقات منصب مدير مكتب عزيز المصرى، لم يكن مطلقا ممن بين شملتهم هذه الإشارة .

وأخذت الوريقة إقراؤها بشغف شديد.. بينما قال لي حسن البنا، والابتسامة علي شفتيه:

- واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون.

وخرجت من دار الأخوات المسلمين... أخطو خطواتي الأولي إلي مستقبل.. مجهول...

اتهام عزيز المصري بدس السم لنازلي

- عزيز المصري يمنح أجازه إجبارية...
- فاروق ينام في لندن بملابس السهرة
- ماذا تنتظرون من الشيوخ..؟
- كان نابليون في السابعة والعشرين..
- أحمد حسنين وعمر فتحي تآمرا علي فاروق.
- لابد من انقلاب علي أيدى العسكريين.

قال لي المرحوم حسن البنا أنني سألتقى في اليوم بالفريق عزيز المصري...

وحدد لي موعد إلقاء ومكانه....

وكنت أعلم أن مقابلتي له في ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات..

فعلي الرغم من الطمأنينة التي كانت تبدو علي وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد، فقد كنت أنا علي يقين من أن مخابرات إنجلترا لن تكون نائمة في ذلك الموعد المضروب...

وكان علي أن أرجع إلي تشكيل الأحرار قبل المقابلة وكان علي أن أعود إليهم بعد المقابلة...

فإن بعد أذن من الحذر.. أن أي شك يحوم حولي قد يذهب بتشكيل الأحرار كله..

كنت أشعر في كل خطوة اخطوها إلي حي السيدة زينب بأني أخطو خطواتي إلي بدء مستقبل حافل مجهول، لابد أن تقع فيه أحداث جسام.

كنت أعرف أني ذاهب لاضع قدمي علي أول الطريق، ولكني لم أكـن أسـتطيع أن أتخيل إلي أين سوف تقودني قدماي، أو إلي أي مكان سوف يمضي بي الطريق..

ولم أكن كذلك قد فكرت في شئ من كل هذا. فلم يزد الأمر عندي عن أنى ذاهب إلي لقاء عزيز المصري، وأن هذا اللقاء لابد محدث أثرا..

واتجهت إلي العنوان الذي كتبه لي المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم .. ونظرت إلـي فوق فقرأت اللافتة الموضوعة علي عيادة الطبيب" الدكتور إبراهيم حسن".

وصعدت الدرج بخطي ثابتة، ثم تذكرت أني" مريض" أو لابد أن أكـون " مريضـا" فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد أنه مراقب، إذا كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود عزيز المصري في داخله..

ولاول مرة قمت بدور تمثيلي صغير.. فصعدت الدرج في تثاقل، ولهثـت بأنفاسـي مرتين.

وطرقت الباب وطلبت مقابلة الطبيب، وأعطيت خادم العيادة أجر الزيارة، وأخذت منه تذكرة.

وبعد قليل دعاني الخادم إلي غرفة الطبيب.. ورأيت لاول مرة وكيل جمعية الأخـوان المسلمين..

ولم يكن غريبا أن الدكتور إبراهيم حسن ينتظرني.. فقد أخذني من فوري إلي مكتـب ملحق بحجرة الكشف وأدخلني إليه..

وفي هذه الغرفة، كان عزيز المصري في انتظاري.

ماذا تنتظرون؟

كنت بحاجة أن اقدم نفسي للفريق الذي آمنت بوطنيته.. وكنت أريد أن أقول له كلاما كثيرا ،وان اكسب ثقته.

أشعر أن في قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الأصـدقاء، الكبـار والشـبان علـي السواء.

ولكن النفس الصافية، أبت أن تحملني هذه المشقة.

وفي الدقائق الأولي كان عزيز المصري يحدثني حديث رفيق الجهاد..ككان يائسا من الحكومات، يائسا من الأحزاب، يائسا من الملك، يائسا من البرلمان =، ولكنـه كـان مؤمنـا بالشباب..

وقال لي:

- **عيب هذا البلد أنه ضعيف، وأنه لا يجد العناصر التي تغذية بالقوة..**

وسالته:

- **وكيف نأتي بهذه القوة..**

فنظر إلي وقال:

- **أنتم شباب الجيش.. ماذا تنتظرون، ومتي تعرفون مسئوليتكم الحقيقية، ومتـي تبدأون في الاضطلاع بها؟**

وعدت أساله:

- **وهل تظن أننا في داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا.**

فأجاب وقد انتفض:

- **تستطيعون كل شئ.. وغيركم لا يستطيع شيئا.. مـاذا تنتظـرون.؟ تنتظـرون توجيها مني، من لواءاكم من حكام البلاد؟.**

وسكت وهم يتمتم: كلام فارغ

ثم نظر إلي في عزيمة شابه، وقال:

- **لقد كان نابليون في السابعة والعشرين من عمره فقط..كان مثلك هكذا شابا صغيرا.. ولكنه استطاع أن يكون في تلك السن المبكرة نابليون القائد. واستطاع أن يقود بلاده وجيشه، ولم يكن يتلقي توجيها من أحد.**

وبعد لحظات قال في عمق:

- التوجيه الوحيد الذي كان نابليون يستلهمه في كل خطواته، هو الأيمان الذي كان ينبعث من نفسه.. فابحثوا عن الأيمان ولا تعتمدوا أبدا علي أحد.. ألا علي أنفسكم..

الأيمان .. والشباب

وكان لكلمة الإيمان في نفسي رنين خاص عميق.. فقد كنت أنا أيضا أبحث عن الأيمان، وأومن في الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التي كان المصريون جميعاً يعيشون فيها..فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا.. تيئسهم الحسرات، وترغبهم المخاوف..

ورغم هذا، فقد قلت له:

- **لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك وعشت لا تعتمد علي أحد.. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوي.. ونحن نريد أن نعمل..**

فقاطعني بقوله:

- **أعملوا وحدكم، واعتمدوا علي شبابكم وأيمانكم.. والذي يستطيع أن يقصي عزيز المصري عن توجيه الملك والذي يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش، لا يستطيع أن يقصي شباب الجيش عنه..**

متي بدأ الفساد؟

وكان كلاما منطقيا حكيما.. وكان مع ذلك إشارة إلي سلسلة الدسائس التي تعرض لها عزيز المصري قبل هذه المرة.. فأسالته:

- **أذن فقد بدأت الدسائس من زمن..**

فقال:

- **نعم، منذ كنت في إنجلترا أشرف علي تربية فاروق..**

وتنهد بمرارة وهو يقول

- **كنت أحب أن تحسن تربيته، لانه شاب، سواء كنت أنا الذي أربيه أم غيري.. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت إليه.. وكانت أقرب إلي قلبه من يدي..**

وسالته:

- **أتقصد أحمد حسنين؟**

فقال:

- **أحمد حسنين، وعمر فتحي.. هذان الاثنان تآمرا علي فاروق.**

فتآمرا بذلك علي شعب مصر في شخص ملكه..

وبعد قليل عاد ليتكلم:

- **هل تتصور أني كنت أدخل غرفته صباحا، فأجده نائما بملابس السهرة.. والخمرة تفوح من فمه؟**

هذا الشاب الذي كنت أريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفســاد والتهتك والاستهتار.. كانا يقودانه إلي دور الفساد، فلا يعود إلا في الرابعة صباحا، ويعود مخمورا.. فينام.. ويلقي بنفسه لقاء علي أقرب مقعد.. أو وسادة..

وكنت أحاول أن أنهاه عن ذلك فيخجل.. ولكنهما ينفردان به من بعدي، فيزيلا كـل أثر لنصائحي..

وتمهل قليلا.. ثم أردف:

فاروق يكره أباه

- **هل تريد أن تعرف سرا خطيرا..**

ولم ينتظر مني أجابه فقال:

- **لقد ألقي هذان الاثنان في وهم فاروق أني مدسوس عليه من أبيه..**

- أبيه؟..

نازلي فؤاد

قال:

- نعم... فان فاروق كان يبغض أباه أشد البغض.. يبغضه من كل قلبه.. وكان يقدس أمه تقديسا شديدا.. فالقي هؤلاء في وهمه أني أنا عزيز المصري أشيع الأقاويل عن أمه، واني أريد أزيلها من الوجود لكي ينفرد أبوه بحبه.. وأني أعمل الآن علي دس السم لها..

وسالته:

- وعرفت أنت كل ذلك؟..

فأجاب:

- نعم عرفته.. عرفته يوم أرسل فاروق إلي أبيه خطابا باكيا يهدده فيه أن لم يسحبني فورا من مهنتي..

وبعد هنيهة قال:

- وقد سحبني أبوه فعلا.. وتركه لهذين المفسدين.. يفسدانه علي نفسه، ويفسدانه أيضا علي وطنه..

ثم تلاحقت الدسائس، والمؤامرات لتفصيني عن كل مكان أستطيع فيه أن أوجه الشباب، لأن فاروق يعرف كيف أوجه أنا الشباب...

لابد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد، حتى كاد يغلبني البكاء.. ولكنه عاد إلي طبيعته الواثقة.. وقال لي:

- **أن كان معك خمسة أفراد مؤمنين، فاني علي استعداد اليوم أن أحمل طبنجتي، واتقدمكم لأى عمل لان لإنقاذ البلد..**

وعندما هممت بالانصراف، شعر عزيز المصري بالمسئولية التي وضعها فوق كتفي.. فقال مؤكدا:

- **لن يكون خلاص البلد ألا بالانقلاب علي أيدي العسكريين..**

ونظر في عيني طويلا، وأنا أصافحه.. ولم يقل بعد ذلك شيئا..

ولكني عندما خرجت من عنده، كانت رسالتنا قد تحددت، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا، وأن كنا لا نتبين الطريق إليه..

من هم زملاءك؟

وفي اليوم التالي التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن أثر زيارتي لعزيز المصري في نفسي.. وكأنه كان يعلم ما جري فيها.. ولاحظت أنه يريد أن يزداد علما بالمجموعة



الفريق عزيز المصرى

التي شعر أني واحد من أفرادها.

فقد سألنى عندئذ:

- **هل لديك زملاء في الجيش يشتركون معك في هدف معين؟**

وكان السؤال في ظاهره بريئا ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه أن كان هناك تشكيل معين يضمني ويضم غيري..

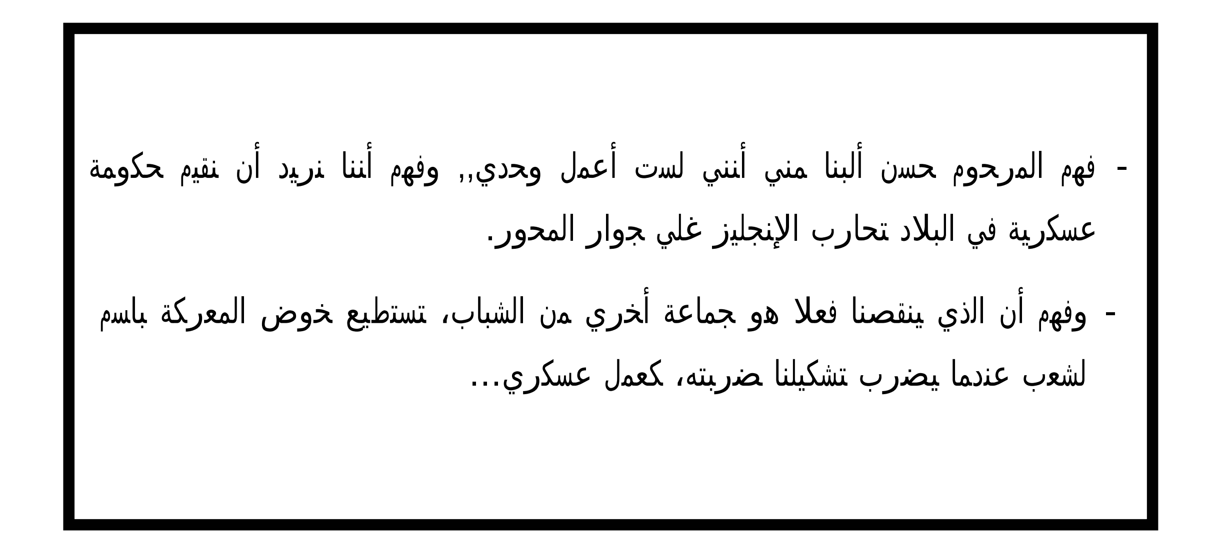
ولم أخف الحقيقة عنه.. ولكني لم أبح له بأسماء أخواني

قلت:

- **أني لست أعمل وحدي.. وأن هناك تشكيلا معينا موجودا وأننا جميعا نؤمن بالكلام الذي قاله لي عزيز المصري.. ونعرف أن البلد لن تخلص من الاستعمار ألا بانقلاب عسكري يقوم به رجال من الجيش..**

أسباب حادث 4 فبراير

- حسن ألبنا يختزن السلاح..!
- الإنجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب.
- كوكتيل مولوتوف لإبادة الإنجليز..!
- خطتنا وخطة القدر.
- جاسوسان ألمانيان يطلبان المساعدة..
- البنك الأهلى والأوراق المالية المزيفة!



- فهم المرحوم حسن ألبنا مني أنني لست أعمل وحدي,, وفهم أننا نريد أن نقيم حكومة عسكرية في البلاد تحارب الإنجليز غلي جوار المحور.
- وفهم أن الذي ينقصنا فعلا هو جماعة أخري من الشباب، تستطيع خوض المعركة باسم لشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته، كعمل عسكري...

وبدأ المرحوم حسن ألبنا يتحدث إلي حديثا طويلا عن تشكيلات الإخوان المسلمين، وأهدافه منها، وكان واضحا في حديثه. أنه يريد أن يعرض علي الانضمام إلي جماعي الأخوان المسلمين، أنا، وأخواتى في تشكيلنا، حتى تتوحد جهودنا، العسكرية والشعبية، في هذه المعركة.

وكنت أنا مستعدا للإجابة علي هذا الطاب إذا وجهه إلي. فلما رايته يكتفي بالتلميح، أوضحت له من جانبي أيضا، أنه ليس من وسائلنا أبدا أن ندخل كجماعة ولا كأفراد في أي تشكيل خارج نطاق الجيش.

واطرق المرحوم قليلا ثم قال، وعلي وجهه ابتسامة تغطي تفكيرا اعميقا:

- من الخير لنا إذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم معا في كي شئ.. كما أننا علي استعداد لكي نعاونكم عندما تطلبون ذلك ألينا.

تعاون.... وأسرار!

وبدا بيننا تعاون كنت أنا الصلة فيه... تعاون بدأ في تحفيظ واستمر في تحفظ..

وفي خلال هذا التعاون تكتشف لي أشياء كثيرة من الأسرار الداخلية لجماعة الأخوان رغم أنه رحمه ا لم يحاول أن يكشف لي شيئا منها، ولا أن تطلعني علي أي سر من أسرارهم الداخلية..

المرشد وحده يعلم!

وكان أهم هذه الأسرار ، أن حسن ألبنا وحده كان الرجل الذي يعد العدة لحركة الأخوان، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها في نفسه.. وأن أقرب المقربين إليه لم يكن يعرف من خططه شيئا، ولا من أهدافه شيئا..

حتى لقد كان حسن ألبنا في ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح، ويشتريه ويجزنه، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس إليه من كبار الأخوان أنفسهم علي أي شئ من كل هذا...

وكان علي العكس من ذلك يستعين في هذه العمليات بإخوان من الشبان الصغار.. وكان منهم الجندي المتطوع الذي جاءني به في سلاح الإشارة أول مرة...

وكان أعوانه الصغار هؤلاء يعرفون أن ما بينهم وبينه سر علي الناس جميعا بما فيهم الأخوان الكبار..

فقد أدركت هذا في يوم من الأيام، كنت جالسا معه، عندما علينا هذا الجندي المتطوع يحمل في يديه صندوقين مغلقين.

ورآني الجندي جالسا، فأجفل، ولكن حسن ألبنا، قال له أفتح الصناديق, ولا تخف...

ونظر الجندي إلي بابتسامه الأخ في الجهاد، ثم فتح صندوقيه، وكان ما فيهما عينات من أنواع المسدسات.

وتأكدت في ذلك اليوم من أن الرجل يشتري سلاحا ويخزنه، ويخفيه حتى عن الأخوان..

وفرحت في نفسي بذلك...

فسيأتى اليوم الذي نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين...

وسيكون من أهم ما نستعين به أن نجد قوة شعبية تقف في الصف الثاني، مسلحة مدربة...

ولكن، متي يكون هذا اليوم؟..

أن الأمر بحاجة إلي أعداد كامل طويل..

ونحن نستعد، ونستعد، ونستعد

ودعوتنا تجد أنصارها ببطء، ولكن في وثوق

وكل شئ يجري علي وجه نطمئن إليه...

وفجأة...

كان يوم 4 فبراير 1942، فقلت خطتنا رأسا علي عقب، وبدأنا السير في طريق خطير...

4فـــبراير..

واحب أن اعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التي اكتنفت حادث 4 فبراير..

فعلي كثرة ما كتب عن هذا الحادث فان هناك حقيقة لن تنشر أبدا، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا، ولا الذين سمعوا...

وطاش صواب ضباط الجيش لأنهم تعسكريين شعروا بأن حادث 4 فبراير هو في الواقع ضربة عسكرية لا يردها سواهم



وطاش صواب ضباط الجيش لانهم كعسكريين شعروا بأن حادث ٤ فبراير هو
في الواقع ضربة عسكرية لا يردها سواهم

فقد أخذ الماس هذا الحادث بالمأخذ السطحي، فقالوا آن مظاهرات شارات في البلاد تهتف:"إلي الأمام بروميل: فتحركت دبابات الإنجليز تفرض النحاس علي الملك,رئيسا لمجلس وزراء البلاد...

ولو قلت اليوم أن هذه المظاهرات قد رسمت ودبرت تدبيرا، لما جاوزت الصواب...

ولو قلت أنها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التي ارتكبتها الإنجليز. لما جاوزت الصواب أيضا...

وبقي أن تعرف بعد ذلك اليد التي حركت هذه المظاهرات بليل.. يد المدبر، والمحرك، وناصب الشرك...

أين التحقيق؟..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفي، والذين يقودون مظاهرات كهذه أن كانوا من الوطنيين فعلا – لابد أن يقدروا خطورة تظاهرهم، ودعائهم لروميل في بلاد يحتلها جيش الإنجليز..

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل.. ولم نعرف أشخاص قادتها، ولا قبض رجال البوليس عليهم، ولا تحرش بهم جيش الإنجليز المقيم في العاصمة، والذي لم يجد حرجا في مهاجمة قصر الملك!

فإذا بحثنا عن الدافع الذي صورته إنجلترا لهذه المظاهرات. لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها في مصر، وأن تلعب في فترات الحرج، بعقول العامة من أهل هذه البلاد. فإذا بالأكذوبة وتصبح حقيقة تتناولها صحف مصر أثني عشر عاما كاملا.. ثمة تترددها قاعات المجلس النيابية، قاعات المحاكم أيضا في قضايا السياسة الكبرى!!

أحقا. هذه المظاهرات قد سارت في شوارع القاهرة، تلعب دورا في هزيمة الإنجليز؟!

أنها أذن مظاهرات خطرة، من ورائها تدبير وطني فاهم لما يعمل...

فأين المدبرون والمحركون، وأين قصاص الإنجليز منهم، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الإنجليز؟!

فإن لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية علي كيان الإنجليز في أيام محنتهم،ففيم إذن هذا الأجراء العنيف، وقد كان أسير أجزاء في تلك الأيام كفيلا بقمع مظاهرات، لاهي بالخطيرة، ولا وراءها تدبير؟!

ولكن هناك هدفا.. وقد تحقق هذا الهدف...

والهدف هو أيجاد مبرر تستند إليه الدعاية البريطانية، عندما يتخذ الإنجليز هذا الأجراء الإجرامى الشاذ في نوعه...



وقد تحقق هذا الهدف، واستطاعت إنجلترا أن تفرض علي الملك حكومة النحاس...

الهدف الكبير

ويبقي السؤال الذي لا يزال ينتظر الجواب...

لماذا أراد الإنجليز هذا ، وما الذي كلفهم كل هذا التدبير، وكل هذه الجريمة، وكل هذا الدعاية التي اضطروا إليها اضطرارا لتبرير فعلتهم؟!

لم تكن المسالة مسالة السخط الذي كان يعم مصر وقتئذ.. ولم تكن مسألة الخوف من فوره الشعور الشعبي المضاد للإنجليز في وقت يقف فيه الإنجليز في أحرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية..

فما كان حادث 4 فبراير ليستطيع أزاله السخط، ولا وقف الشعور الشعبي المضاد للإنجليز، وانما هو جدير بزيادة السخط والكراهية، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر، وبين حليفة المفروض عليه فرضا.. جند الاحتلال..

فصحيح كان هناك سخط، وكان في البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الإنجليز من الخاف، بينما تشتد عليهم نيران روميل من أمام..

ولكن هذا، لم يكن كل شئ.. ولم يكن يستحق الموضع الذي وضعته إنجلترا نفسها فيه، يوم 4 فبراير المشئوم...

الجيش ...والشعب

كانت إنجلترا تري أن هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الأخرى.. فقد كان الملك في نظر الشعب وفي نظر الجيش أيضا. شابا وطنيا، وكان محبوبا..ورأت إنجلترا أن هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب، فأرادت أن تحطم هذه الجبهة، ولأن تعزل الجيش عن الشعب، وكان يوم 4 فبراير هو الوسيلة لذلك .. فقد صممت إنجلترا فيه علي تكليف النحاس- زعيم الشعب بتشكيل الوزارة، فأصبح الشعب بذلك في ناحية، والملك والجيش في الناحية الأخرى.. وبدأت إنجلترا بعد هذا تقيم سياستها علي أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه إليه، واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذي سيلهب ظهره باسم الملك.

في نادي الضباط

وكان يوم 4 فبراير.. الذي تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة.. ولا تزال تتحدث!..

وكحقيقة نذكرها، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث، بل وأكثر من هذا، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع..

ولكننا أحسسنا به بعد ذلك، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا، وبينما كانت البلاد في ذهول من الحادث، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن في تشكيلنا .. نفكر..

أما البلاد فقد ذهلت لان الأحداث كانت أغرب من كل ما تصوره خيال هذا الشعب.. وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه، ما تقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التي تمت في قصر الملك، والمواقف المثيرة التي رأتها قاعاته من الزعماء..

وطاش صواب ضباط الجيش، لانهم كعسكريين شعروا بأنها ضربة عسكرية لا يردها سواهم... وفي فوره الحماسة وعنف الشباب. بدأت الاجتماعات تعقد علنا في نادي الضباط لمناقشة الموفق، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة' لا يمكن أن تؤدي إلي خير.

أما نحن فقد انتهينا حينئذ إلي قرار أولي...

استعداد وتأجيل

فمع تصميمنا علي وجوب رد هذه الضربة للإنجليز، قررنا تأجيل هذا الرد، لان ذلك الجو المفتوح الذي نوقشت فيه المسائل بنادي الضباط كان يوجب عدم القيام بأي شئ في خلاله..

كنا قد درسنا الآمر من كل وجوهه علي طريقة العسكريين عندما يقومون بما يسمونه" تقدير الموقف"..

ولم نضع في حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنا، فقد اتفقنا علي عدم الاهتمام بالتفكير في الموعد، بعد ما حدث، وما فوجئنا به علي غير استعداد أو ترقب..

ولكننا وضعنا في حسابنا أن ندرس كيف تكون ضربتنا لا متي تكون، وصممنا علي أن نضع خطتنا لكي تأتي ضربتنا للإنجليز محكمة، ودامية في الوقت نفسه..

وقررنا كذلك أن تنأي خطتنا في هذه المرة عن أي صلة بالإخوان المسلمين.. وأن نقوم علي توسيع تنظيمنا الداخلي في الجيش، وتكتيل قوتنا في كل الأسلحة، وأعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية..

وقت العمل

ومرت الأيام من 4 فبراير حتى وقع حادث العلمين، أو مأزق العلمين. وكانت هذه المدة كفيلة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش أكثر من مائة ضعف.

فقد كنا، عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا في استعداداتنا إلي تجهيز مائة إلف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف..

وكنا قد استطعنا إنشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدأت تخرج السلاح فعلا...

وكنا أيضا قد استوردنا من ريف مصر، كميات كبيرة من البارود الذي

يصنعه الفلاحون من زمن بعيد، واستطعنا أن نحضره تحضيرا عمليا، بحيث يمكن الاعتماد عليه..

وكان هذا هو الشق الأول من خطتنا بعد 4 فبراير.. أن نعد أنفسنا بما يلوم لعمل كبير.

أما الشق الثاني الذي يحدد نوع العمل، فقد كان مقررا تركه للخطة التي يتقرر فيها العمل نفسه..

كنا مرة أخري ننتظر الوقت المناسب.. وجاء هذا الوقت.. يوم وصل الألمان إلي العلمين...

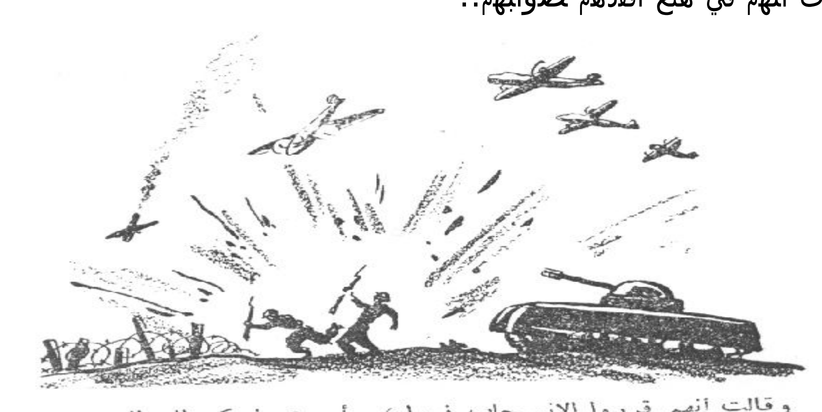
وبدأنا نرقب الأحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذي نستطيع أن نقوم به.

وقالت الأحداث كلماتها سريعة متلاحقة..

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية..

وقالت أن الإنجليز أيقنوا بالهزيمة..

وقالت أنهم في هلع أفقدهم صوابهم..



وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا ، وبأسرع مايمكن الى الجنوب ..

وقالت أنهم قروا الانسحاب فورا، وبأسرع ما يمكن إلي الجنوب..

هذا كان صوت الأحداث الواقعة التي رأيناها بأعيينا ورآها العالم بأسره معنا...

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التي تناسب منطق الأحداث..

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظاميا، ولا انقلابا عسكريا، ولكنه كان يوجب اتجاها آخر.. يوجب خطة سريعة واحدة توضع لإبادة الإنجليز أفرادا وجماعات عند انسحابهم.

خطتنا.. وخطة القدر!

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين...

وكان جانب منها يحدد التفاصيل العمل العسكري الداخلي...

والجانب الآخر يرسم خطة الاتصال بالألمان..

ولكن خطة أخري كان القدر يضعها في الوقت نفسه.. وقد لا نستطيع أن نحكم علي فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل، وتستطيع دائما أن ننظر إلي الماضي، فتجد أن الأيمان حق.. هو دائما.. أقوي من القدر.

وبدأت قصة القدر..

بدأت بطرقات خفيفة علي باب بيت صديقي الصاغ حسن عزت.. دخل في أثرها رجلان من الألمان، يصحبهما صديق له،هو الأستاذ عبد الغني سعيد الذي يعمل اليوم مفتشا في مصلحة العمل.. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن يأتى بثلاثتهم إلي...

هكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا..

ولكنها بالنسبة إلي هذين الألمانيين فقد بدأت قبل ذلك..

بدأت علي رمال الصحراء الغربية الصفراء.. عندما دعا قلم المخابرات الألمانية رجلين من رجاله.. أحدهما يدعي هانز أبلر.. والثاني يدعي ساندي..

وكان أبلر يعرف مصر من قبل، كما يعرفها كل أبنائها..

فقد كانت أمه الألمانية، قد تزوجت في ألمانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار، ثم حضرت معه إلي مصر، وفي يدها ولدها من زوجها الأول..

وكان ولدها هذا، هو" هانز ابلر".

وأراد الزوج المصري، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة في مصر، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح، وأعطاه اسما مصريا، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته، فأصبح هانز أبلر يعرف في مصر، باسم حسين جعفر.

وعاش " حسين" في مصر، ولكنه لم يكن الوالد الصالح الذي ارتجاه زوج أمه، فقد انحرف عن الطريق الذي رسمه له الرجل.. وأصبح بعد فترة وجيزة شوكة في كلبه، ووصمة في سمعته..

وفشل المستشار المصري، في إقناع ربيبه بالعدول عن مخاذنة الأوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات، ونساء الطريق..

وفشل في إقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه، أو يشغل به بعض وقته.

ولما أيقن بالا سبيل إلي إصلاحه، ولا اتقاء شره في مصر،طرده من حياته قبيل الحرب.. فما كاد يعود إلي وطنه حتى جندوه هناك.. ثم أصبح من رجال روميل.. ومن رجال مخابراته في شئون مصر بالذات..

تجسس

واصدر روميل لرجليه ابلر وساندي أمرا بالتسلل إلي مصر، وكلفهما بعمـل معـين، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا.. وزودهما بعشرات كثيرة من الآلاف من الجنيهات الإنجليزيـة المزيفة المطبوعة في اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزى التـي اسـتولي عليهـا روميل أثناء معركة العلمين وفرار الإنجليز تاركين خلفهم كل شئ...

وتحركت السيارة بالرجلين، وقد ارتديا ملابس ضباط في الجيش الإنجليزى، وحمـلا معهما جهاز اللاسلكي، والثروة الطائلة..

واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع إلي جنوب سيود، ثم انحرافـا من سيوه إلي الواحات الخارجة.. واستراحا فيها من رمال الطريق، وتزودا بما يحتاجان إليه، ثم اتجها صوب أسيوط في الطريق المرصوفة الفاخرة المؤدية إليها..

وكانت هذه المرحلة هي أخطر مراحل الرحلة بالنسـبة إليهـا إذ الطريـق طريـق عسكري، تنتثر علي جانبيه المعسكرات البريطانية، ونقط التفتيش والحراسة، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت في كل لحظة، ونفذ منها الوقود فـي منتصف الطريق.. إذا بقائدها أبلر ينثني بكل جرأة إلي أحد المعسكرات البريطانية، فتفتح لـه الأبواب.. ويدخل إلي محطة البنزين بالمعسكر، وتقدم أوراقه، ويعبئ سيارته بـالبنزين، ثـم يخرج مودعا بتحية الجنود..

ووصلا إلي أسيوط.. ثم انحرفا في الطريق إلي القاهرة.ز ودخلاها ضابطين أنجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتعقد في ذلك الزمان.

طلبـات

وقال لنا الأستاذ عبد المغني سعيد أنه تعرف بهما عن طريق قريب له متـزوج مـن ألمانية تعرف عائلة أبلر.

وأخرج الرجلان أوراقهما، وأثبتا بما يقطع كل شك، حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتيهما.

وطلب الألمانيان منا أن نقدمهما إلي الفريق عزيز المصري، وكانا يطلقان عليه كلمة" الزعيم".

وقال أبلر أن جهاز اللاسلكي الذي جاءا به قد تعطل، وانـه يرجـو أن يعتمـد فـي إصلاحه علينا..

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصي بروميل في مكانه بالعلمين..

وقابلهما عزيز المصري، وتفاهم معهما علي أشياء كثيرة، ثم أصدر أمره إلينا بتسهيل طلبيهما الآخرين.

وقمت أنا بالناحية التي تتصل بعملي في سلاح الإشـارة، فحـددت معهمـا موعـدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكي المعطل..

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما، أنهما يقطنان فـي عوامـة خاصـة للراقصـة المشهورة حكمت فهمي.. ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت علي آثارها، فقد ضحك أبلر، وقال:

- **أتريدنا أن نقيم في معسكرات الإنجليز؟!**

ومضي يروي لي ما يعرفه من إخلاص حكمت فهمي له منذ كان في مصر قبل الحرب،ثم روي لي طرفا من حياته التي يحياها، منذ عاد إلي القاهرة، وكان قد مضي عليه أكثر من شهر يقيم فيها..

البنك الأهلي

أنهما منذ نزلا ضيفين علي هذه الراقصة قد خلعا ثيابهما الرسمية" الإنجليزية" وارتديا ثيابا مدنية عادية . ثم راحا يعيشان كإنجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما.

كانا ينفقان عن سعة.. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية.

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عم مجرد السهر ليلا في الكيت كات، والعودة مخمورين قر الصباح إلي العوامة التي اتخذا منها محطة للإذاعة يتصلان عن طريها بقيادة مخابراتهم.

وقالا لي وهما يضحكان أن البنك الأهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين آلف من الجنيهات الإنجليزية المزيفة بجنيهات مصرية.

ثم قالا:

وكان الوسيط يهوديا. قبل أن يتحمل المسئولية مقابل قيمة ما يبدله من النقود.

ولم أدهش أن لليهودي الذي يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النادى، فلا يتردد ما دام كل شئ بثمنه ولكنه مع ذلك أشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود.

وسألنى أبلر:

ـ متي تجئ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة..

وفي يوم الجمعة. كنت واقفا علي شاطئ النيل، من خلفيي مستشفي الجمعية الخيرية الإسلامية.. ومن أمامي عوامة الراقصة حكمت فهمي!

محطة إذاعة تحت أقدام الراقصات!

- خمر ونساء وغناء!
- عندما تظهر الحقيقة عارية..
- دبلوماسى أجنبى يسرق من مفوضية سويسرا
- أين ذهبت أموال البنك الأهلى..؟
- متاعب فى الطريق...
- خرافة المخابرات..!

كنت على موعد مع الجاسوسين الألمانيين أبلر، وساندي فى عوامة حكمت فهمى..

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز إرسال لاسلكى، ويتملكه الجاسوسان، ويذيعان منه، من داخل العوامة..

ووقفت أمام العوامة أفكر قليلا قبل أن ألمس زر الجرس.. فقد كنت أشعر ،أنى أمام مغامرة.

ونظرت إلي أعلا العوامة، فوجدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى يستعمل للإرسال اللاسلكى والاستقبال..فاعترتنى رجفة مفاجئة.. فأن وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة، قد يثير بعضا من الشكوك.

ثم تتابعت على الأفكار فى سرعة متلاحقة، واصبحت بعد ذلك أسئلة لا أجد جوابا عليها:

هل يعرف اليهودى الذى يبدل لهما الأموال حقيقتهما فعلا.. وإذا كان يعرفها، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها، لكى يسكت.. ولا يخون؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة؟.

وما مدى استعدادها للسير فيها إلى آخر الطريق؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها إليها..

وكان لابد أن أجد جوابا لهذا.. ولذلك، كان لابد أن أدخل..!

ووضعت يدى على زر الجرس...

...وفتحت لى الباب، حكمت فهمى.. وبعد لحظات كان أمامي الألمانيان أبلر، وساندى.. يرحبان بمقدمى بينما تدور عيناى فى أرجاء العوامة، أحاول أن أستشف نوع الحياة التي تجرى بداخلها.

ولم يكن عسيرا علي أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة...

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للألمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا، فاتخذا منها وكر للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك..

وكان واضحا أنهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاء لكى يقوما به، وأنغمسا إلي آذنهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة تملكها راقصة، ويعيش فيها رجلان فى عمر الورد، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات.

أين الجهاز

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل.. فضحك أبلر، وهو يقول:

- **أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه؟..**

وخيل إلى أنى أستطيع، فقمت أطوف غرف العوامة، وأهبط درجاتها، وأصعد إلى أعلاها.. فإذا بها لا تحتوى ألا على وسائل الحياة الناعمة، وأدوات الترف والزينة.. وكؤوس الشراب، وصناديق الويسكى...

وفجأة عاد بى أبلر إلى حيث كنا فى بهو العوامة.. ومد يده إلى جهاز الراديو الكبير الموضوع في صدر المكان.. وكنت قد فحصته، فى دورتى، فلم أجد فيه أكثر من جهاز رادايو" موبيليا" أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات.

وأمسك أبلر الجزء الخاص بالبيك أب، ثم حركه حركة بسيطة، فانفتح إلى أعلى.. وقال لى: أنظر.. فنظرت لاجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب، يكفى لكى يهبط فيه رجل، فيجد كريسا صغيرا يجلس إليه، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه..

وقال أبلر وهو يشير بيده داخل التجويف:

- **تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسى وأن تضئ النور الداخلى، ثم أغلق عليك الجهاز من فوق، وأدير أنا أسطوانة للرقص..**

وقال زميله ساندى:

- **أننا دائما نصنع هذا، نرقص على الموسيقى مع الضيوف، بينما يباشر أحدنا عمله الجهاز في هدوء..**

ووجدتها فكرة جميلة.. فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب، محطة إذاعة كاملة، ورجل يذيع!

ونزلت إلى الفجوة، لافحص الجهاز.

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه، وأخذت أدير فى مفاتيحه. أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه. فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع. كما أنه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لآى مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى إلي تعطله..

وفتحته من الداخل، فوجدت جميع صماماته سليمة، وحاولت أن أكتشف مكان العطب فيه، فلم أستطيع، فقد كان الجهاز جديدا على فى كل شئ... وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله، أن لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التي أسس عليها.

وخرجت يائسا.. أو بادى اليأس، وفى رأسى دوامة من الأفكار، وشكوك كثيرة...

وصدر منى سؤال مفاجئ لم أكن أحمله أكثر من معناه الظاهرى:

- **هل هذا الجهاز معطل حقا؟!**

واضطرت أبلر لهذا السؤال بينما أجاب ساندى بسرعة فائقة، والكلمات تتزاحم على شفتيه:

- **أنه معطل.. معطل فعلا.. هل تستطيع إصلاحه؟**

وقبل أن أجيبه بالنفى، كان هو يسألنى سؤالا آخر:

- **أنك بلا شك تسمع عن الهر هوارد..**

جهاز جديد

وكنت أعرف أن هوارد هذا، دبلوماسى فى مفرضية السويد فى مصر، وأنه كان يقوم برعاية شئون الرعايا الألمان في مصر، بعد إغلاق المفوضية الألمانية عند إعلان الحرب..

قلت : أعرفه..

فقال : أننا على اتصال به أيضا، وهو يعلم أن هذا الجهاز معطل، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك.

وقاطعته قائلا:

- **ولكنى آسف جدا، لانى لا أستطيع إصلاح هذا الجهاز، فلم يسبق لى أن اتعملت أجهزة إرسال ألمانية أبدا..**

وبدا أبلر الكلام فقال:

- **أن الهر هوارد طلب منا أن نتصل بك..**

وسكت قليلا ثم عاد يقول:

- **أنه يعرف كل شئ عنا، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لأى شئ.. وهو أيضا، يساعدنا...**

وأكمل ساندي قائلا:

- **وقد قلنا له أن هذا الجهاز قد تعطل، فجاءنا بجهاز آخر.. ولكننا لا نعرف كيف يعمل...**

وسألتهما أنا:

- **وهل الجهاز الآخر هنا الآن...**

فأجاب ساندى:

- **نعم، أنه فى الطابق الأسفل لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا، ولكننا حتى اليوم لم نستطيع تشغيله...**

وأمسك بى من يدى وقال: هيا معى.. سأريك الجهاز الآخر.. وقد قال لنا هوارد أنك أنت وجميع ضباط سلاح الإشارة فى مصر، تستعملون مثله..

ونزلت معه إلى الطابق الأسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا...

لم تعد شكوكا

وفى الطابق الأسفل، وجدت جهاز إرسال من النوع المعروف بالهابيكوافتر.. وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط، ودهشت لقولهما أنهما لا يستطيعان استعماله، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الإرسال وقلت لهما:

أن هذا الجهاز من أبسط الأجهزة استعمالا، وأنى أستطيع أن أدلهما على كيفية استعماله فى لحظات قصيرة.

وفجأة خطرت لى فكرة.. وانطلق بها لسانى فى التو واللحظة..

فقد كانت شكوكى فى الرجلين قد بدأت تعلو إلى مرتبة اليقين.. كنت قد اقتنعت فى نفسى تماما، أن جهازهم الألمانى أما أن يكون سليما، وأما أن يكون هما قد عطلاه بنفسهما.. وخطر لى أنى لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يلفانه أيضا.ز ولم أكن أعرف السبب فى

لن يستطيع احد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصـــور أن تحت هذا البيك آب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع بينما الضيوف يرقصون على الموسيقى .

هذه الشكوك،ولكنها كانت قد سيطرت على..

وقلت لابلر، وأنا أخذ بذراعه على سلم العوامة:

- **أريد أن آخذ هذا الجهاز الأمريكى معى يوما، لاختبره اختبار دقيقا، ثم أعيده إليك..**

وانتظرت من أبلر أم يمانع فى هذا، ولكنه أسرع يقول:

- **بكل سرور.. يوم أو أكثر كما تشاء..!**

نساء.. وخمر

وكنا قد وصلنا إلى البهو الذى كنا فيه من قبل.. وهناك كانت فتاتان صغيرتان تجلسان وقد وضعت أمام كل منهما كأس من الويسكى.

ولاحظت أن الفتاتين قد آتيتا لزيارة الألمانيين..

ولاحظت أيضا أنهما لا يعرفان الألمانيين من قبل، فقد قامت حكمت فهمى بتقديمها أليهما..

ورأيت الألمانيين وقد استخفتهما النشوة، والمرح ، وعلمت أنهما سوف يقصدان إلى جروبى لتناول الغذاء، وأنهما سيعودان بعد ذلك إلى العوامة بصحبة الفتاتين..

وكان لابد أن أنسحب.. فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغذاء.. لآخذ معى الجهاز!..

وبدأت شكوكى تجد أسبابا ترتكز إليها، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكى لم تكن عبثا..

يسرق من سويسرا

فقد علمت أن الألمانيين قد استطابا الحياة الناعمة، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدلوها عن طريق اليهودى من البنك الأهلى، وتعرفا على عدد من الراقصات، ومن بائعات الهوى... وأرادا أن يطيلا مكثهما فى القاهرة، وان يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة.. فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد نعطل، وأخيرا بذلك" هوارد" وكان من ناحيته

متصلا بقيادتهم، واستطاع" هوارد" أن يزودهما بهذا الجاز الأمريكى فادعيا أنهما لا يستطعان تشغيله.. واتصلا بنا..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الأيام والليالى بين سهر فى المراقص ليلا، ولهو مع الغوانى نهارا.. فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل، وأنهما لا يستطعان العمل بالجهاز الجديد!!

وبدأت المتاعب!

عرفت هذا.. ولكنى عرفته بعد فوات الأوان..

وفى يوم الأحد، ذهبت إلى العوامة، وأوقفت التاكسى خارجا..وأخذت الجهاز، وخرجت تاركا خلفى أبلر وساندى، ومعهما فتاتان.. جديدتان!!

ومر الأحد، والاثنين...

وفى يوم الثلاثاء، قبض عليهما..

وفى اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين، فبدأت مخاوفى، فقد كنت حتى ذلك الوقت، أعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر، باسم" قلم المخابرات البريطانية"...

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هى التى أمسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها، ,انهما هى التى قبضت عليهما وأنه ليس من المستبعد أبدا أن تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين الملتين قمت بهما للعوامة، وأنى بهذا بت فى خطر أنا ومن معى فى تشكيل الضباط.

وبدأت أعد نفسى لكل احتمال وأنبات أصدقائى بالقبض على هذين الرجلين، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا..

ولم أقف عند هذا، فقد كان على أن أعرف كيف قبض عليهما، وهل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة، وهل هناك مراقبة موضوعة علينا..

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضيق، مأمون... فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منذ شهر، وأن الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا،وأن هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا..

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما، ولم تقع أعينها على داخلا إلى العوامة ولا خارجا منها.. وأنها حتى بعد القبض عليهما، لم تكن تعرف عنى شيئا...

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة، ملاءة الجيوب بالذهب.. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما، ويوم عرفت ذلك.. عرفت قصة من القصص التى تلعب فيها المرأة، ويلعب فيها الذهب، وتنام فيها عيون المخابرات...

وعرفت في ذلك اليوم شيئا آخر أيضا.. عرفا حياة جديدة لم تكن لى خبرة من قبل...

دخلت الشجن بسبب شهر زاد!

- عذارى شهريار...
- فى عوامة الراقصة..!
- النحاس وحمدى سيف النصر يسلطان علينا الإنجليز
- حسن ألبنا يهرب معى من وكيل الأخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس!
- هل كان حسن ألبنا.. معنا؟

قبض البوليس على أبلر وساندى يوم الأحد، ومر بى يوم الاثنين وما سوف أن أعرف أن كانت صلتى بهما قد اكتشفت أو لا...

فعلى الإجابة عن هذا السؤال يتوقف مصيرى، كضابط فى الجيش.

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون..

وقد يذهب الأمر إلى اكثر من هذا، فتتوقف على الإجابة على هذا السؤال: حياتى وموتى.

وأكثر من هذا.. أن نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين، كان يمكن أن تكون المتاح الكبير الذى يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش، هذا الذى ترامت أنباؤه إلى إنجلترا منذ شهور كثيرة، فأدت بها إلى افتعال حادث 4 فبراير،ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت.

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا، فقد كنت ارجح أن المخابرات البريطانية، وأن كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الألمانيين، فهى لابد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت، لتتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله...

كان هذا ما اعتقدته، ولكنى فؤجئت فى يوم الثلاثاء التالى، أى بعد يومين أثنين ممن القبض على الجاسوسين، بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت.

ودهشت لهذا السرعة، وخيل إلى أن المخابرات البريطانية الساهرة، لم تكن غافلة عنا، وأنها قد وضعت يدها فعلا على كل أسرارنا وألا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك..

ولكن بعد ذلك، قابلت أبلر، وساندى، أثناء التحقيق، واخذ أبلر يشرح لى تفاصيل كثيرة، سمعتها بشغف، وتنفست بعدها الصعداء..

بلاد شهرزاد!

كان ساندى شأن أكثر الألمان ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الأوربية... ولم يكن المر كذلك، فقد كان على النقيض منع لا يحب ألا موسيقى الجاز.. تمتزج طرقاتها العنيفة بالخمر التى تدور برأسه، فتحيله كائنا عجيبا. نصفه لسان، ونصفه حيوان..!

وفى إحدى الأمسيات، جلس صاندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى، يستمع إلى موسيقى" شهر زاد " للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف.. وكان أبلر مغيظا محنقا، يحاول أغراء صديقه للقيان معه إلى موعد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات.. ,أصر سندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها، فوضع أمامه كأسا من الخمر، وأخذ يسمع ويحلم، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذه الباليه على مسرح من مسارح برلين..

ورويدا رويدا اندمج أبلر معه فى الاستماع إلى الموسيقى.

ولكنه لم يسلم نفسه لأنغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه لهمسات شيطان أخذ يراوده..

وفجاه صاح بصديقه صيحة مخمورة:

- **ما كان أسعده هذا الملك.. شهريار...**

وضحك ساندى، وهو مسترسل فى أحلامه وقال:

- **كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة.. يبيت معها ليلته.. ثم يذبحها فى الصباح**

وصاح أبلر، والخمر فى رأسه:

- **هكذا الحياة. ماذا ينقصنا نحن، لنكون مثله.!؟ أنا شهريار الثانى، وأنت شهريار الثالث...**

السنا فى بلاد آلف ليلة وليلة!!؟

- **أكنت تقرا مثلى قصص ألف ليلة وليلة أيام الشباب...**

فأجاب أبلر:

- **لقد كدت أطرد من المدرسة وأنا أقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقة لها، بكل ما فيها من كلام لذيذ!!**

وسأله ساندى بخبث:

- **وهل تحب أن تذبح النساء...**

فأجاب أبلر...

- **ولماذا أذبحهن.. أعطيهن مالا... مالا من البنك الأهلى.. كم يكون لذيذا أن تعيش كل ليلة فى أحضان عذراء!**

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان إلى الكيت كات يقضيان سهرتهما.. ولكن خيال ألف ليلة وليلة لم يبرح ذهن أبلر وساندى فى تلك الليلة..فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بالحان شهر زاد، فتضج القاعة بالضحك على هذين" الإنجليزيين"- كما كانت تظن الراقصة! اللذين ذهب بعقلهما الشراب..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير..

فقد اسر أبلر بأحلامه الحيوانية إلى إحدى صديقاته.. فضحكت الصديقة بخبث، ودخلت معهما فى مفاوضات، وأصبح أبلر بعدها شهريار الثانى، وأصبح ساندى شهريار الثالث أيضا...

وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوى، فى ثياب كثياب الطالبات.. يدخلان علي استحياء..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه!!

أخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى!!

واشتهر أمر أبلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود، اللواتى كن يقمن بهذه التمثلية العاطفية الفذة...

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما..

وكانت فى العوامة يهوديتان جاءتا لتمثل كل مهما دور عروس من عذارى شهريار...

وانتهى التمثيل.. والرجلان فى نشوة باللغة، من السكر الشديد، والخيال المنطلق..

وتهيأت الفتاتان للخروج.. ثم وقفتا فى انتظار الأربعمائة جنيه.. ودخل أبلر إلى غرفته، ليأتى بالنقود، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية..

ومد أبلر يده بالنقود إلى إحداهما فأخذتها ، وعدتها، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح:

- **أتسلبنى أعز ما أملك، بثلاثين جنيها؟.. أين باقى المبلغ؟**

وصاح فيها أبلر، وقد أغاظه منها تطاولها عليه.. وقال

- **ليس معي غير هذا.. هيا أخرجي قبل أن أذبحك كما كان يفعل شهريار...**

وارتجفت الفتاتان، وقد سمعتا كلمة" أذبحك" وخيل إليهما أن هذين" الإنجليزيين" قد يصنعان أي شئ دون أن يخشيا عاقبة أو حسابا.

ورأى الألمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار...

وانطلق أحدهما يغنى نشيد" ألمانيا فوق الجميع" ثم شاركه الآخر، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه، ينشد نشيد هتلر..!

ولم يكن هذا النشيد مجهولا.. خصوصا فى أوساط اليهود..

فهزت إحدى الفتاتين رأسها، وجذبت الأخرى، ومضيتا، من العوامة إلى قلم المخابرات البريطانية.

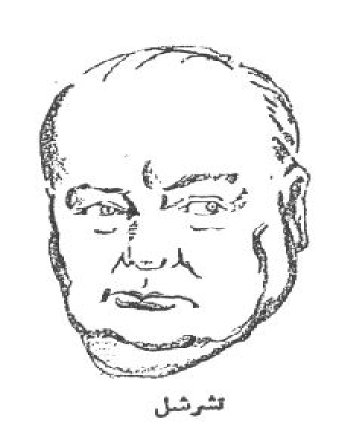
وبعد ساعات قليلة.. كان أبلر وساندى فى طريقهما إلى السجن..!

أمام تشرشل.!

قص على أبلر هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها: ذهب كثير واعتماد على إغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله.. فليست المخابرات أذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين.. ولكن الفتاة اليهودية التى أشرت على أن تأخذ جسدها مائتى جنيه، وسيان عندها أن تأخذ المبلغ من أبلر.. أو من مخابرات الإنجليز..!

وسألت أبلر بعد ذلك، على السبب فى القبض على ـ أنا وعزت وكنت قد بدأت أشك فى أن الفتى المجنون قد أعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه.. فأطرق الالمانى إلى الأرض، ولم يجب، وكدت أنا انفجر غيظا، وأهوى عليه بقبضة يدى...

ولكنى كظمت غيظى... وانتظرت.



تشرشل

وظهرت لى الحقيقة كاملة عند ما علمت بعد ذلك، أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا.. ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا إلى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت، فلما مثلا أمامه، وعدهما بحياتهما أن اعترفا بكل شئ...

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة.. فاعترفا اعترافا كاملا.. وجاءا وبحسن عزت إلى السجن!!

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدأنا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء.. وقد كان الألمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر..!

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير.. فقد صدر أمر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا، ودعينا للمثول أمامه.

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما افقدنا الصواب..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية، وإنجليزيين. أحدهما برتبة ميجر، وأسمه جنكنز.

والثانى برتبة كابتن وأسمه سمبسون..

وضابط من البوليس المصرى كان أسمه كمال رياض..

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته وأسئلته، إنجليزيا صميما لا يمت إلى المصرية بشئ..

وقد لا تهم القارئ تفاصيل المحاكمة.

فقد كان أهم ما فيها اعتراضنا على أن نحاكم كضباط مصريين، أمام ضباط إنجليز، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف الدين، ومن رئيس الحكومة نفسه، مصطفى النحاس..!

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى، ومن رئيس الحكومة المصرية، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك اليوم..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شئ... لا اعترافات ولا إجابات...

لاشئ غير الاحتجاج العنيف.. ونظرات الاحتقار..

وتقرر وضعنا تحت الإيقاف.. ثم طردنا من الجيش فى 8 أكتوبر 1942 أى بعد حادث 4 فبراير بثمانية أشهر فقط..

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش، حتى تسلمتنا السلطات المدنية، فحملتنا إلى سجن الأجانب ثم رحلتنا إلى معتقل المنيا.

حلقة الاتصال بالإخوان

كان هذا الحادث، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا، نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا نفكر فيه..

وكان كذلك بدءا لتطورات أخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش، ولم يتأثر بذلك موقفنا من نحن أيضا.

وكان نهاية صلات مع الأخوان المسلمين، وبدء صلات جديدة معهم فقد كنت أنا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الأخوان المسلمين.

فلما انتهى الآمر باعتقالى، بدأت حلقة أخرى عملها..

وكنت حين قبض على، قد أجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم...

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الألمانيين...

فقد كانت خطتنا إذ ذاك لإبادة الجنود الإنجليز العائدين من العلمين، قد تمت من الناحية العسكرية، وكانت استعداداتنا كافية فعلا..

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى.. فكان لابد لنا من أن نعاود الاتصال بالإخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير...

وإذا قلت" الاتصال بالإخوان المسلمين" فإنما أعنى الاتصال المرحوم حسن ألبنا، فلم تكن لى صلة عملية بغيره.. أو هكذا أراد حسن ألبنا نفسه.. فقد كان كما قلت من قبل، أحرص ما يكون على أن يظل ما بيننا وبينه سرا خافيا على الجميع، حتى على كبار الأخوان أنفسهم...

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف أننا ننويه. تكتم الآمر بينه وبين نفسه..

فقد ذهبت إليه حينئذ فى دار الأخوان وطلبت مقابلته لآمر هام، وكان الأستاذ السكرى وكيل الأخوان المسلمين موجودا معه، فإذا به يشير بأن أدخل إلى غرفة فى مدخل الدار، كانت مخصصة لشركة المعاملات الإسلامية.

وبذل رحمة ا   جهدا كبير لكى لا == الأستاذ السكرى بأى حركة غير عادية، ثم تسال إلى فى الغرفة من باب آخر لها، واخذنى من يدى فخرجنا متلصصين، إلى عربة نقلتنا إلى بيته بالقرب من دار الجماعة..

وأغلق ألبنا باب غرفته، واوصد الشبابيك، ثم مال على برأسه لكى يسمع ما أردت أن أنهيه إليه..

دور الأخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم ألبنا كل التفاصيل، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الأخوان به، وحدود هذا الدور..

وأطرق ألبنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم.. وعندما تكلم أجهش فى البكاء.!!

زمرت فترة وهو يتكلم..

كنت أنا خلالها كالمسحور.

قال كلاما كثيرا.. كلاما مثيرا أمتزج بالأيمان الشديد.. وكان واضحا جدا من كلامه أنه يؤثر مصلحة البلاد..

ولكننى عندما خرجت من عنده، سالت نفسى:

هل وعد الرجل بشيء.؟

هل احتضن خطتنا.؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الأخوان منها.؟

وحرت فى الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة.. فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا وأثر فى نفسى كثيرا، وبكى من أجل مصر كثيرا.. ولكنه لم يعد بشئ ولا احتضن خطتنا.

ولا أفهمنى أنه مقبل على تنفيذ نصيب الأخوان من الخطة..!!

هل كان معنا!؟

ولكنك لو سالتنى حينئذ سؤالا من هذه الأسئلة، لما استعطت أن أجيب عليه أجابه قاطعة كما أستطيع أن أفعل اليوم.. فقد كان تأثيره الشديد على قد أبعد عن ذهنى كل شك.

أنه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا.. بقلبه ووجدانه وتفكيره.. وروحه أيضاً.

وكان أخطر ما أردت معرفته منه فى تلك الجلسة، وهو أن اعرف شيئا عن استعداداته من حيث الأسلحة.. فقد كنت على يقين أن الرجل يملك سلاحا، وأنه يختزنه ويعرف كيف يخفيه..

وكانت مباراة بينى وبينه.. أنا أريد أن اعلم واطمئن، وهو يباعد بينى وبين ما أريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها أبدا..

وفى جو الغموض والأسرار الذى كان يحوط نفسه به، ويحوط كل أعماله وكل جماعته، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا، وأن يقنعك بالا تسال عنه أبداً..

وأن يقنعك بأنه أعد فعلا جماعته للكفاح، وأن يقنعك بأن تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك...

وأن يقنعك بأنه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة، وأن يقنعك أيضا بأن تؤمن بهذه القوة، دون أن تعرف عنها أى شئ..

وكان هذا أخر اتصال لى بحسن ألبنا قبل اعتقالى.

ولكن اتصالات جديدة بدأت عقب ذلك.

اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكيلنا، واتصالات بينه وبينى أثناء هربى من المعتقل.

وكانت هذه الاتصالات الجديدة، صورة أخرى من صور الفصل الكبير الذى اشترك الإخوان معنا فى صفحاته.

عزيز المصرى يتوقع هزيمة رشيد عالى الكيلانى

- تاريخ الخيانة فى سياسة البلاد العربية..
- اخترنا مطار " الخطاطبة" ولكن..
- خبرة البارون التائه فى الصحراء.!
- كيف ادعيت أنى مريض بقلبى.؟
- الحظ الملعون يتربص عند الهرم..
- سقوط طائرة عزيز المصرى.!

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بدأناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف.. إلى جوار منقباد..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع أن يتصل طول الوقت، فقد قلت أن جمال عبد الناصر كان قد نقل إلى السودان، وأن تشكيلنا الأول كان قد تشتت هنا وهناك.

وكانت الأحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل، فيعمل بروح التشكيل، وفكرته.. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصال بهم، وتصرف وحده حين أعوزته المشورة..

وقد تلا هذا الاعتقال أحداث.. وسبقته أيضا ـ غير ما ذكرت ـ أحداث..

وكانت كل هذه الأحداث، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة التى كنا نقوم به، وبالعمل الفعلى الذى كانت الأحداث تدفعها إلى القيام به..

ولكي يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى، الذى أدى إلى اعتقاله ومحاكمته..

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية، عقب رفضنا أوامر تسليم السلاح إلى القوات البريطانية.

وكنا كما أسلفت، قد عقدنا العزم على الاتصال، بعزيز المصرى، وعلى ماهر..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى، على النحو الذى ذكرته..

ورغم التحفظ والحذر الشديد اللذين كنت ألتزمهما كلما ذهبت إليه ألا أننى فؤجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى، مدير المخابرات المصرية وقتذاك، وهو يقول لى أننى التقى بعزيز المصرى هنا وهناك.

وأن المخابرات البريطانية التى تراقبه، قد وضعتنى أنا أيضا تحت المراقبة!!

وسالت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى..

فسكت ثم قال:

- **أنى فقط أحذرك..**

وفهمت أن تحركاتى كانت مكشوفة وذكرت لهذا الرجل إحسانه إلى بكشف هذا السر لى..

اللحظة الحاسمة

وبدأت أزيد من حذرى، ولكنى لم أوقف اتصالى، بعزيز المصرى، ولا بالجماعة التى كنت ألقاها من تشكيلنا..

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية.. كنا نتتبعه ساعة بساعة، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة..

وكان يوم من أيام الصيف فى عام 1941..

كنت عائدا إلى منزلى، عقب نزهة قصيرة أعقبت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوار الأعصاب، ولم أكد ادخل البيت، حتى أخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى، فلما لم يجدنى طلب أن أتوجه إليه فور حضورى..

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى، وهذا الطلب أيضا، يحملان فى طياتهما بالنسبة إلى، شيئا خطيرا.

فلا بد أن شيئا قد وقع، وأننا على وشك أن نخوض إحدى المعارك.!!

وغادرت منزلى فورا.. وأسرعت إلى عزيز المصرى.

وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة، ألهبت حواسى، وجعلتنى اعتقد أن ساعة البدء، قد تحددت..

وأننا فى الطريق إليها..

قال لى عزيز المصرى أن الألمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم.. وأنهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الأوسط والعرب، وأنهم على أتم استعداد لاختطافه، ونقله إلى قيادتهم، حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا..

إذن فقد بدأت نذر الماطرة.. ولن يكون العمل داخليا فقط، وأنما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الألمان..

وكان يجب أن نقرر هل نقوم بهذه المخاطر، أم نرفض القيام بها.. وكان علينا أن ندرس كل ذلك على أساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا.. فى القاهرة..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الإنجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى، وتتوقع منه أن يهرب إلى الخارج ومن أجل هذا سحبت منه جواز سفره، ووضعت عليه رقابة شديدة..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الأجراء بالرضى، بل توجه إلى المسئولين، وطلب منهم أن يسمحوا له بالسفر إلى الخارج فعلا. فرفضوا هذا الطلب..

ومعنى هذا، أن كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه..

وأكثر من هذا أن حكومة مصر، ومخابرات الإنجليز كانتا تتوقعان سفره هذا من ناحية..

أما من الناحية الأخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد.. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق.!!

الساسة العرب!

كانت هذه الثورة، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا، هنا فى مصر.. وأكنا نتابع أنباء هذه الثورة، فى حماسة بالغة، ونعلق عليها آمالا واسعة..

ولكن نظرتنا إلى هذه الثورة، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل..

والكانت نظرتنا مليئة بالضيق والتشاؤم..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا، نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى..

ننقض على الإنجليز ونعلنها عليهم فى أزمتهم ثورة مسلحة..

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رأيناه يفتح لنا الطريق، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها..

ولكن عزيز المصرى، كان يسمع أنباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية، ويملأه التشاؤم..

وكنا نسأله فى ذلك.. فيقول:

- **أنتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما أعرفهم..**

وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب أو أكثر الساسة العرب على الأصح، منذ اتصل بالأحداث فى عهد الدولة العثمانية، وكان إذ ذاك يرعى الحركة العربية.

وكان يسمع أنباء هذه الثورة، ثورة رشيد عالى، فيتوقع الخيانة، وتتجسم له الخناجر التى لابد أن يطعن بها رشيد فى ظهره...

وكان يتصور هذا المصير، لتلك الثورة المخلصة، فيكاد ينفجر غيظا، وكمدا..

هروب عزيز المصرى

ولم نكن نحن.. حتى آخر لحظة، نشاركه هذا الشعور، أو نقبل منه هذا الكمد..

هذان الظرفان: المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والإنجليز.. وثورة رشيد عالى التى كان يتوقع لها أن تطفئها الخيانة.. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما عرض الألمان عرضهم عليه، أن يخطفوه لستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم..

وفكر عزيز المصرى.. وفكرت معه.. ثم استقر رأينا على وجوب سفره.. وعدم إفلات هذه الفرصة...

وفى اليوم التالى، عاد عملاء الألمان إلى عزيز المصرى، فأبلغهم قراره بالقبول..

ووضع الألمان خطة الاختطاف..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات.. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الإنجليزية لتهبط فيه.. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة.

وعلى الفور تناولنا الخرائط، واخذنا نحن الاثنين، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الأماكن، وندرس أيضا كل الاحتمالات.

اخترنا مطار الخطاطبة.. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم، وأما كان مجرد أرض صالحة لهبوط طائرة.!

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية.. وأرسلناه إلى الألمان.!

وبدأنا نحن ننتظر الموعد الذى سيحدده الألمان لهبوط طائرتهم" الإنجليزية" فى أرض الخطاطبة..

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الألمان، يرفضون فيه فكرة" الخطاطبة" ويعينون منطقة" جبل رزة" على طريق الواحات البحرية، مكانا للقاء..

البارون التائه

وأخذنا ندرس أسباب هذا التغير.. فوجدنا أن الألمان كانوا على حق وأنهم على دراية تامة بصحرائنا، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر.. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بها كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى إحداها أحد باروناتهم فى صحرائنا..

لهذا قبلنا هذا التغير، وحددنا يوم السفر..

كنا إذ ذاك فى يوم أربعاء، وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد له يوم السبت التالى على الفور...

ولا أدرى كيف توقعت مخابرات الإنجليز، أننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة...

فقد صدرت إلى فى نفس اليوم ـ يوم الأربعاء ـ أوامر بالنقل إلى الصحراء الغربية فورا، وانباتى مدير السلاح، وهو يصدر إلى أمره، وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة.. يوم الخميس..!!

ولم يكن لهذا النقل أسباب.. وأنما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب..

ووقفت حائرا أمام مدير السلاح اللواء أحمد الصاوى، وهو يصدر إلى آمره. وكان على أن أختار، أما أن أسافر فى الموعد المحدد وأما أن أرفض السفر، ومعنى هذا إعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب..

وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى ضابط فى الجيش...

وخرجت من عند مدير السلاح، وتوجهت إلى عزيز المصرى، لأعرض أمرى عليه..

ولكنه رفض أن يشير بشئ على وفوض لى الأمر كله. والشئ الوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا.. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صحبته.. حتى تطير به طائرة الألمان..

وقد تركت الأمر لهما، وتوجهت أنا إلى المستشفى العسكرى صباح الخميس.. وأعيت أنى اشعر بالآم مترتبة على مرض فى القلب أصبت به أثر حادث تصادم كان قد وقع لى..

ولم يكن صعبا أن أحصل على أجازه مرضية من المستشفى العسكرى وأن أبطل بذلك، ـ ولو مؤقتا ـ أمر النقل إلى الصحراء..

وقضيت يومين فى المستشفى أترقب يوم السبت، وأتعجله.

سوء الحظ

وجاء يوم السبت.. وزارنى فى نهايته عبد المنعم وكان حزينا مبتئسا.!! أن الرحلة لم تتم، ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل إلى" جبل رزة" ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة، ولا رقابة البوليس، ولا أى شئ من كل الأسباب التى تطوف بالذهن لاول وهلة..

ولكنه كان القدر..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض.. وسارت بهما السيارة شوطا، وإذا بها تتوقف عن السير فجأة على مقربة من الهرم، وقبل أن تدخلا بها طريق الواحة البحرية، الذى كانت الطائرة الألمانية ستهبط فيه.



وكان الاتفاق أن تهبط الطائرة عند الغروب، وأن يصعد إليها عزيز بمفرده، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكي فور وصوله إلى خطوط الألمان.

وقال لى عبد المنعم، أنهما لم يتمكنا من إصلاح العطب الذى أصاب السيارة، فتركاها فى مكانها بعد أن فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة..وعادا..!

وقال لى أيضا: أن عزيز المصرى فى حالة عصيبة شديدة بسبب هذا الحادث.

ومضى بعد ذلك يومان.. ثم أتصل أحد رجال الألمان بعزيز المصرى وابلغه أن الطائرة قد أتت فى موعدها، وأنها حومت حول المكان، ولم تجد الإشارة المتفق عليها، فعادت..

ثم مرت أيام كثيرة، دون أن يجدد الألمان اتصالهم بعزيز المصرى..

وكان لابد لاجازتى المرضية أن تنتهى..

وكان لابد ن أرحل إلى الصحراء الغربية...

ورحلت فعلا، تاركا كل شئ لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف

المحاولة الثانية

وأكاد أتصور الآن الأيام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك، على ضوء ما أعرفه عنه، وما لمسته من أنه إذا صمم على شئ لم تستطع قوة أن توقفه عن المضى فيه..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب إلى خطوط الألمان، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله.. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من رأس الرجل..

ومرت أيام قليلة، وإذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره، على متن طائرة مصرية..

وبدأ عبد المنعم دراسته، ثم أتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار، وأتفق على أن يعد خطة السفر.. وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى إلى الألمان.

وتحدد موعد السفر، فى ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار.

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى إحدى الطائرات.. وطارت الطائرة بهما..

ولكن القدر كان بالمرصاد أيضا.. فقد سقطت الطائرة.. وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصفا فى السجن، نقل إلى" ميس" الضباط تخفيفا عنه.. ثم أفرج عنه بعد ذلك فى مارس 1942 فى نفس الفترة التى بدأ فيها الألمانيان أبلار وساندى اتصالاتهما بى.. وبعزيز المصرى..

كان القدر دائما ضدنا فى هذه الفترة. ولكننا كنا نستفيد من القدر وجاءت الفترة التى أعقبت اعتقالى.. وتغير كل شئ..

كـيـف أقـيـلـت وزارة الـنـحـاس

- أحمد ماهر ينفذ رغبات الإنجليز..
- فاروق يقول ليوسف رشاد" حسن ألبنا ضحك عليك !
- ضممنا" الملك: إلى صفوف الأعداء..!
- إخلاص حسن ألبنا..!
- العملاق الذى لا يقهر..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة........

فى الساعة الخامسة تماما من مساء 8 أكتوبر 1944، أنقطع صوت الإذاعة المصرية فجأة، وكانت تذيع إحدى الأغاني.. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصرين طول فترة الحرب هو صوت الأستاذ محمد سعيد لطفى، الذى كان مستشارا للإذاعة فى ذلك الوقت..

كان يحمل أمر الإقالة التى وجهها فاروق إلى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الإنجليز..

وكان واضحا فى صوت مستشار الإذاعة، وفى إلقائه لهذه الإقالة، أنه طروب بها مستبشر.. شمتان!

وكان سهلا على المدركين لحقائق الأمور أن يعرفوا الأسباب التى تدعو مستشار الإذاعة إلى الفرح الشديد بهذه الإقالة، فقد كانت هذه الإقالة بشرى ـ من السماء! ـ هبطت على ذلك الرجل، لتنفيذه من عذاب طويل، وضيق وحرج لا مثيل لهما، عاش فيهما اكثر من عامين ونصف عام..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لأقالتها...

ولو كان الخلاف قائما على أساس دستورى، لكان خلافا فى سبيل مصر.

راس الملك!

ولكن النحاس كان يتحدى الملك، باسم الإنجليز، لا باسم الشعب، ولا باسم الدستور.

والملك كان يحنى رأسه، لانه كان يعلم أنه لا يستطيع شيئا غير الانحناء، حتى تحين الفرصة، ليبطش بهذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه، لتذل كبرياءه، وتهدر كرامته!

صورة

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد.. فأرسل حسين يفاوض كيلرن ليسمح الإنجليز بتغيير وزارة النحاس، فكان الرد الذى تلقاه على ذلك، هو برقية من تشرشل يقول فيها:

- **لا تغيير..**

وسكت الملك، وسكت حسنين، وعلم الوفد بالأمر، فازدادت حكومته صلفا،وبطشا...

والمهم أن هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين" الملك" كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الإذاعة المسئول...

كان الملك مثلا يأمر بإذاعة القرآن الكريم من القصر، فترسل الإذاعة رجالها وآلاتها لاعداد ما يلزم للملك.. وتسمع الحكومة بالأمر فترسل رجالها لسحب آلات الإذاعة.

ويبدأ الحرج، وتبدأ المتاعب، للإذاعة ورجال الإذاعة..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الأقاليم، فيأمر الإذاعة بإذاعتها، ويسمع الملك الهتافات والدعايات، فيغضب، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة، لرجل الإذاعة المسكين..

وهكذا، كان على الإذاعة أن ترضى الإنجليز، وأن ترضى الحكومة، وأن ترضى الملك، وكان هذا أمرا، لا سبيل إليه!

فإذا أقال الملك حكومة النحاس، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الإذاعة ويستبشر.

وسمعنا هذه الإقالة من الأستاذ محمد سعيد لطفى، وسمعنا بعدها مباشرة الأمر الملكى الصادر بتكليف أحمد ماهر بتشكيل الوزارة ... وكنا فى المعتقل، قد استطعنا أن نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا أداره المعتقل.

ولا أخفى على القارئ أنى أنا أيضا طربت لهذه الإقالة.. فقد كانت عندى ـ الرد الأول على إنذار 4 فبراير المشئوم..

وفى غمرة هذا الطرب، غفلت عن تحليلها، والتعمق فى مدلولها.

فإن الأمر لم يكن بعد قد ترك الملك يتصرف فيه كيف يشاء.. لابد من مصدر لهذه القوة التى لبسته، حتى أقال وزارة النحاس.. ولابد من اتفاق سابق، وأن التغيير آت من الإنجليز، لا من الإرادة الحرة الملك!

تجاربنا

غفلت عن هذا التحليل، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الإقالة..

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها. إذ أصدر الرئيس الجديد أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين.. وبدأت أعد نفسى للحرية...

وكان من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس، وتتواثب صورها أمام الخيال...

ولكنى أفقت بعد ذلك بقليل.. أفقت من الآمال، وافقت من الخيالات وافقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت أقاله النحاس.

فقد رأى أحمد ماهر أن يفرج عن جميع المعتقلين.. ولكنه رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام!

وبدأنا التحليل، وتعمقنا فى سر الإقالة، وتكفلت الأيام بعد ذلك بإفشاء الأسرار!

وبدأت أضيق ذرعا بالمعتقل واصبح وجودي فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل.. فوضعت خطة هربى وهربت فعلا، هربت فى الشهر التالى لإقالة النحاس، أى فى شهر نوفمبر 1944...

وبدأت أتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش، واتصل سرا بالمرحوم حسن ألبنا، وأعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة...

أنها فترة طويلة على قصرها، لأنها كانت مغامرة كاملة.. ولعل القراء قد قراؤه طرفا منها بقلم غير هذا القلم.. ولعلى أعود إلى ذكرها يوما من الأيام بالتفصيل.

ولكنى لا أفعل اليوم، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة، خطا تسير عليه، يستهدف الكشف عن الأسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد...

خرجت من المعتقل لاكتشف عددا من الحقائق الجديدة، ولا عرف عددا من الإسرار...

خرجت لاسمع حديث الملك، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية...

وكان حديث عجيبا.. فالرجل الذى ضربه الإنجليز، أو ضربوا مصر كله فى شخصه، لم يكن يخلق به، ولا بكرامة عرشه، ولا بكرامة البلد التى" يملكها" أن يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الإنجليز، الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات فى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية...

ولكن.. متى كانت لفاروق كرامة، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما.. وكنا فى ظنوننا مخطئين... فالضربة التى أصابت كبرياء مصر من أجل الملك، لم تصب أبدا كبرياء الملك من أجل مصر.. لانه لم تكن له كبرياء.

وخرجت لارى قصر رأس التين، القصر الرسمى الثانى فى البلاد، وقد أمر الملك بتحويله إلى مستشفى عسكرى، لا لجنود مصر وضباطها، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم هوجم عرشه، ولكن الجنود الإنجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الأول، فى قلب العاصمة!

وخرجت لارى فاروق قد ترك كل ما كنا رجوه فيه من معانى الشباب والوطنية، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا، وضباط أمريكا.. يلعب معهم، ويسهر معهم، ويقوم برحلاته معهم، ويلهو فى لياليه معهم... وكأنه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد إليه، أن تخلى عنه الإنجليز!

وخرجت لأعرف السر فى كل هذا.. فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع.. ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر!

أصبح الملك يخاف.. يخاف على حياته، ويخاف ضياع العرش منه، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود الإنجليز، فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به، وأنهم يعتزمون أزاحته عن العرش مثلما أزاحوا من قبل بعض أسلافه..!

وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من هذه المرات، هو أن يترك قصره، ويهرب إلى انشاط.. وكان أنشاط كانت بعيدة عن دبابات الإنجليز!!

وإذن فقد أصبح الملك ألعوبة فى أيدى الإنجليز، ولم يعد فى استطاعتنا أن نعول عليه فى شئ من خططنا.. بل لعل الأسلم كان أن نعتبره..من الأعداد...

وهكذا، ذهبت مع الأعداء، صفوف الوفد وصفوف السعديين، وقوة الملك.

ولم يبق فى الميدان ألا قوة الأخوان.

هل نستعين بهم.. وهل نعول عليهم؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن ألبنا، وأنا هارب من المعتقل... وتبسط معى حسن ألبنا بصورة لم تسبق له من قبل.. فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائما أنه يقول شيئا، ويخفى فى نفسه أشياء..

ولكنه فى تلك المرة، تبسط كثيرا وشرح كثيرا، وأفاض كثيرا...ثم.. ثم كلفنى بأمر!

شرح لى حسن ألبنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين:

ناحية الملك.. وناحية الأجانب...

وقال لى أن الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الأخوان، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة وقال لى أن الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة، وأنه يخشى أن يضرب الملك ضربته، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها....

العملاق الذى لا يقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن ألبنا عن شعوره بعدم وصول دعوته إلى ذروة القوة والمناعة.. فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة، أشبه بصورة العملاق الذى لا يقهر ولا يخشى عليه...

واستطرد بعد ذلك إلى ذكر طرف آخر من متاعبه، وكان هذا الطرف، هو موقف لأجانب من الدعوة...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب أيضا يرهبون دعوته، ويعتقدون أنها إذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الإسلام ستتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد، والدستور..

وقال لى أن هذه النظرة الموحدة إلى دعوته، من جانب الملك، ومن جانب الأجانب، تجعل الدعوة فى خطر جسيم، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة إلى تحالف عمل للقضاء على الدعوة، وعلى الجماعة التى تدعو إليها.. ويومئذ لا يعرف من أين تصوب إليه الضربات!

واستمعت إليه، منصتا، ومناقشا.. ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا...

وبدأ حديثه الجديد...

قال لى أنه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب، وأنه يعتقد أن الأجانب يمكن أن يطمئنوا إلى الدعوة، أو أطمان إليها الملك...

ونظر فى عينى طويلا وهو يقول:

أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك، لو تقابلت معه...

وكان وجهه ينبئ فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك.

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته...مرة واحدة!

ثم أوضح لى أنه لا يريد مع الملك سياسة وفاق، ـ و تعاون.. ولكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينة فى نفس الملك، يجنب به سفينة الأخوان أية عقبات تعترض الطريق.

وقصد ـ رحمة ا إلى هدفه بعد ذلك مباشرة، فقال لى: أنت تعرف يوسف رشاد...

قلت له: نعم... أعرفه، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة.

فقال: ويوسف اليوم ذو خطوة، فلو استطعت أن تشرح له هدفى.. وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك، ولا أريد أن أكون خطرا، لامكنه إقناع الملك بمقابلتي...

وأجبته أنا: أحاول...!

ومضت فى تلك الليلة، أبحث الأمر بينى وبين نفسى.. هل أقوم بهذه الوساطة، وكيف أقوم بها.. وما مدى ما يمكن أن يترتب عليها. وكنت إذ ذاك لا أزال هاربا أعيش متنكرا، واتحاشى الظهور فى أى مكان ولكنى مع ذلك.. ذهبت إلى يوسف رشاد... وابلغته رسالة حسن ألبنا، فناقشني فيها، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور.

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى: لقد فاتحت الملك فى هذا الأمر، فى محادثة تليفونية بينى وبينه وإذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهه أخرى.. وقابلته بعد ذلك فقال لى:

- **كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا، ألا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات؟!**

ودهشت أنا عند سماع هذه الكلمة.. فقد فهمت منها أنه يخشى المراقبة، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية!

وعادوت الإلحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة، استطلع يوسف أن يحصل على أذن من الملك، بأن يقابل هو أولا حسن ألبنا، ويستمع غليه.. وينقل حديثه إلى الملك ليرى أن كان يقابله..

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن ألبنا ويوسف رشاد.. وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم.. واستمع يوسف لحظات قصيرة.. ثم قال حاضر.. وانتهت المكالمة.. ونظر إلى يوسف وقال لى: أن الملك يقول:

- الغ كل ما قلته لك بشأن حسن ألبنا..

وبئست أنا من المحاولة، وخصوصا أنى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى.. وأبلغت حسن ألبنا بيأسى...

ومرت أيام.. وسقطت الأحكام العرفية، وبدأت أظهر من جديد.

اتحاد الكلمة

وكنت فى بيتي بعزبة النخل فى إحدى الليالي، عندما أقبل حسن ألبنا، ومعه المرحوم محمود لبيب، فتناولا معى طعام العشاء...

وأخذ حسن ألبنا يتحدث عما يمكن أن تجنبه البلاد إذا ما أتحدث الكلمة، وهدأت شكوك الملك فى الأخوان.. ولكنه كأن فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح، لوجود المرحوم محمود لبيب...

وفهمت أنا أنه يريد منى أنم أعاود الكرة، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك.. فلمحت له بدورى، بانى سأفعل...

وفى اليوم التالى، قصدت إلى الإسكندرية، فقد كان الملك هناك فى تلك الأيام، وكان يوسف رشاد إلى جانبه، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الأمر وأقنعته بمعاودة المحاولة.

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك...

وضحى فى سبيل ذلك تضحية.. كانت كبيرة فى ذلك الوقت!

فقد غضب منه الملك، واقصاه عن صحبته عشرة أيام طوال.. وعندما عاد يقربه، قال له: إياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع!

إخلاص حسن ألبنا!

وللتاريخ بعد ذلك أذكر، أن الملك فى يوم من الأيام، قد دعا إليه يوسف رشاد، وطلب منه أن يتصل بحسن ألبنا، وأن يستمع إلى ما كان حسن ألبنا يريد أن يقوله له..

والتقى يوسف رشاد بحسن ألبنا وتحدث معه ثلاث ساعات.. وقال لى يوسف رشاد، أنه خرج من هذه المقابلة، مقتنعا تماما بخصوص نية حسن ألبنا نحو الملك.. وأنه ذهب إلى الملك فنقل إليه كل شئ...وإذا به يفاجأ بالملك يقول له: حسن ألبنا ضحك عليك!!

وحاول يوسف رشاد أن يدافع عن نفسه، وأن يقنع الملك بأنه ليس الساذج الذى يضحك عليه الناس.. ولكن الملك ضحك ضحكته المشهورة. وأعاد جملته: حسن ألبنا ضحك عليك..

هذا ما قاله لى يوسف رشاد...

وقال لى أيضا بعد ذلك بأعوام، أن الملك فى أواخر عهد إبراهيم عبد الهادى قال له:

- **أحنا غلطنا فى ضربة الأخوان.وحقنا نرجع لسياستنا القديمة..**

ا أعلم!

وسالت يوسف رشاد، وما هى السياسة القديمة؟... فقال:

صدقنى.. أنا لا أدرى... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن ألبنا وبين الملك عن طريق غير طريقى.. وأن الملك قد أتخذ لفترة قصيرة خلال عام 1946 موقفا معنا من الأخوان... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين..

قال لى ذلك.. ثم قال: وا أعلم...

هذه هى العناصر التى كانت فى الأجواء خلال الفترة بين عامى 1945و 1946 وفى هذه الفترة، كان جمال عبد الناصر قد بدأ خططه الجديدة.

حاولنا الهرب إلى أسطنبول

- صداقة.. وصديق...
- عشرة جنيهات فقط...
- لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
- فدائيون فى الجيش.. وفدائيون فى الشعب!
- متى نضعف..؟
- جمال يعود...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان، ألا أنه وجد من الخير للتشكيل وللثورة، ألا يعاود العمل المنظم الفعلى آلا بعد أن تستكمل لهذا العمل أسباب النجاح، وكل وسائله..

وقد جاءت هذه الأسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات.. وعندما بدأت أعمال وخطط منظمة وصلت إلى غايتها يوم 23 يوليو 1952..

ومع ذلك، فقد كانت هناك اتصالات، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال..

مدة كانت فترة ركود، ولكنها لم تخل من عمل.. ومن تفكير فى عمل...

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن ألبنا، قبل اعتقالى، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان ـ رحمه ا ـ يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال.

لقد كان الرجل بعيد النظر، وكان يتوقع كل شئ...

وأنا أتذكر اليوم، كم ألح على حسن ألبنا أن أذكر له أسما واحدا من أسماء زملائى، ليتصل به أن حدث أن عاقنى شئ عن الاتصال به.

وكنت أنزعج لهذا السؤال، وكنت أتهرب من الإجابة عليه، فقد كان متفقا بينى وبين أخواتى أن أظل أنا وحدى، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الأخوان.

ولكنه ألح.. وألح كثيرا...

وفى مرة أحرجنى، فأطلت التفكير.. ثم اخترت أن أذكر له أسم عبد المنعم عبد الرؤوف...

ولا أذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم.. وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من أفكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات، هو أنى اخترت هذا الزميل، ربما لانه كان أول من أنضم إلى تشكيلنا عقب عودتنا إلى القاهرة فى عام 1949.

ولم يعلن حسن ألبنا بشئ عندما ذكرت له اسم عبد المنعم، وأنما لزم الصمت والحرص اللاذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا، بحادث اغتياله المشهور..

ولكنى عندما قابلته أول مرة بعد ذلك، ذكر لى أسم عبد المنعم وأثنى عليه طويلا.. ثم أخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة من تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته..

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين أسرة عبد المنعم، وبين مرشد الأخوان، وأنها صلة قديمة، وأنها صلة معرفة وصداقة وبيئة، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للأزهر. كما أن عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى.

وامسك حسن ألبنا عن ذكر عبد المنعم بعد ذلك، حتى ظننته نسيه.!

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الإفراج عنه، ولم يشر حسن ألبنا أبدا...

صداقة.. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا إذ ذاك طليقا لم يقبض على فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام 1942، ولم يقبض على أنا ألا فى أغسطس من ذلك العام.. عندما أفرج عنه، لم أشأ أنا أن أتصل به فى شئ، كنت أخشئ عليه أن تثور حوله شكوك جديدة.. وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال..

ولكن يبدو أن عبد المنعم أساء فهمى حينذاك، فقد غضب فى نفسه وتضايق.. وعرفت ذلك فيما بعد.

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى.. ولم أكن إذ ذاك على صلة بعبد المنعم، ولا على شبه صلة به.

وكان آخر شئ أفكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به، لفكرتنا، وليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه..لشخصى...

أنها الصداقة التى آمنت بها دائما.. هى التى دفعته أن ينهض فورا بعبء كنت أنهض به.. ثم يفاجئنى مفاجأة أخرى..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت إلى معتقل المنيا.. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى، بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى...

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا، مثيرا للنفس باعثا للكابة.. والجنون.

فمثلى فقير لا يملك غير عمله.. وذو زوج وأولاد.. يعيش فى المعتقل لا يعرف لاهله معينا، غير الذى خلقه واخلقهم.

وفى طريقى اليومي إلى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشي محمد وجيه خليل، الذى استشهد فى حرب فلسطين، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف.

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى آذني أن التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر، وأنه جاء لكى يطمئنى بعد أن عزت على الجميع زيارتى..

متى نضعف؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى أسمى ما يمكن أن يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال.

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من اجل فكرة أنهم لا يضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب، وقد يخيل إليهم فى لحظات الحماس والانفعال أنهم لن يضعفوا أمام شئ فى الوجود.. ولكنهم فى هذا واهمون.. فهناك الشئ الذى يضعفون أمامه، والذى لا يملكون حياله شيئا ألا الفرار.. الفرار من الواقع، والفرار من التفكير وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح، ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف..

ولعلك عرفت الآن، ما هو هذا الشئ الذى يضعف أمامه المجاهدون...وأنه الولد، الطفل.. العيال!

هؤلاء الصغار الودعاء، الذين تدفعهم دفعا إلى مرارة الكفاح، وتأخذهم أخذ على الصبر والحرمان والتقشف، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا...

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا.. وهى نقطة ضعف اعترف بها، ولا تخجلنى.. لاننى أن أنسأن!

وقد كنت احتمل أن يحرم أطفالنا من رعاية أبيهم... ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة.

وكانت هذه الجنيهات العشرة، هى العون الوحيد الذى أقبله لاطفالى لأنها لم تصدر عن عطف ولا إشفاق. وأنما صدرت عن فكرة مشتركة وتكافل بين مكافحين...

وبدأت أنسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل.. وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل، وخطوات الجهاد.

وكان مجرد تفكير نظرى، تنقصه حكمة الواقع، ودراسة الطبيعة.

وكان أهم ما يشغلنى هو أن أخرج من هذا المعتقل، ولكنى لم أكن قد حددت بعد، لماذا أخرج، أو ماذا أستطيع أن أصنع وأنا مطارد شريد!

إلى تركيا...

ويبدو أنى لم أكن وحدى الذى فكر فى هذا الأمر.. فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت أنا أفكر فيه...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح الطيران، وكانوا من أكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا.. أخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا.. عزيز المصرى وأنا...

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات، ولم تكن خطة عملية على أى حال...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله إلى المنيأ.

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الأول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لاهرب فأجد عبد المنعم فى أنتظارى.

أما الشق الثالث.. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى إليها، وأخرج أنا من المعتقل.

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا إلى سوريا.. أو إلى أسطنبول وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة، للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب.

ولكنها ـ كما قلت ـ لم تكن خطة عملية.. فلو قدر لهذين الهجومين المسلحين أن ينجحا لما كان من السهل ضبط التوقيت فى العمليتين معا، بحيث لا تزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها إلى خارج الحدود.

لم يكن هذا سهلا.. ولعل اسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران.. فقد كان زملاؤنا الطيارون، أكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شئ.. وكنا نرجع ذلك دائما إلى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح.

كان الجزء الخاص بالطائرة.. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الخطة، أما القسمان الآخران منها فكانا يحتويان على كثير من الثغرات الكافية لخلق متاعب جديدة لنا، كنا فى غنى عنها.

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده.. فقد كان التشكيل ـ كما ـ فى فترة من فترات الركود.

تطورات.. بالجملة!

ولكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد.

فقد أصبح للملك ـ مثلا ـ موقف جديد وتطورت نظرته إلى عرشه، وإلى شعبه وإلى مستقبله وإلى الإنجليز تطورا كبيرا..

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى 4 فبراير 1942 والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر.. واعتبرنا الاعتداء على قصره اعتداء على مصر.. وأردنا أن نثار له بإبادة الإنجليز.. قد تطور أو تغير.. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الأول من صفوف الأعداء...

وأحمد ماهر.. الذى ملأ قلوبنا يوم أن وقف وقفته أمام الإنذار البريطاني فى عام 1942 والذى علقنا عليه أملا كبير يوم عاد إلى الحكم فى عام 1944.

لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين فورا.. ألا نحن .. فقد أصدر أمره ببقائنا فى الاعتقال وكان هذا الأمر بناء على" أمر" من الإنجليز ، ولا أقول بناء على طلب أو رغبة أو تفاهم!

وحسن ألبنا، الذى كان قد اصبح قوة رهيبة يخشاها الملك، ويعلن عن مخاوفه منها، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الأخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر أو غدره.. وكان رحمه ا قديرا على إقناعنا بخطته، وعلى الإمساك بطرفى حبلين فى قبضته.

جمال يعود...

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل.. هربت فى نوفمبر 1944 أى بعد تأليف وزارة أحمد ماهر بشهر..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة...

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف إلى الأخوان المسلمين انصرافا كليا. وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل، وبدأت أكافح لأعيش هاربا شريدا أقتات من عدد من الأعمال الغريبة هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الأحكام العرفية عام 1945 فبدأت أظهر بوجهى فى هذا الوقت.. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشغيل داخل الجيش، لينظمه جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية.

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين...

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبد الناصر وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها...

وكان الغالب على الصورتين، روح فدائية، وكانت بين الصورتين صلات...

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد أثر أحداث وأحداث.

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبة على أن ننشئ تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا، يعملان جنبا إلى جانب، كل بوسائله وكل بخططه، ولا يرتبط أحدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك.

ومر بنا تاريخ طويل... ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة...

وكنت أتعجل الخطى.. وكان جمال يتريث...

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع المرحوم أحمد ماهر.. وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابله كيلرن.. على سلم السفارة.

وكانت هذه القصة حديث مصر...

فقد كانت قصة بغيظه فاضحة.. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمل الجنون.. فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير إلى مطالب مصر، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية، وقال النقراشى، دعك من هذا الكلام.. فإن حديث الجلاء والوحدة ليس ألا حديث خرافة.

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها

وذهبت إلى جمال.. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها.

واستمع لى جمال طويلا. وناقش خطتى مناقشة كاملة. وأقر كل أطرافها وعناصرها..

ولكنه فى آخر الأمر.. هز رأسه وقال:لا..

كان يستعرض فى ذهنه الإجراءات التى يستطيع الإنجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فى ذهنه مصرع" لى ستاك" سردار السودان..

وقال: لا .. نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما..

وكان على حق.. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس..

ولم تتم هذه الخطة.. ولكن بدا صراع من نوع آخر جديد..

هذا أجمال لفترة طويلة.. ولكن هل يكتفى القارئ منى بأجمال؟!..

أن للقارئ أن يسال عن موقف الملك وكيف تطور...

وله أن يسال عن موقف الأحزاب وكيف تطورت..

وله أن يسال عن موقف حسن ألبنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا.

وله أن يسال عن جمال عبد الناصر كيف بدأ خطوطه الجديدة.

وله أن يسال عن سر التشكيلين الفدائيين.. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب وله أن يسال عن دور الأحرار فى معركة القنال...

وله أن يسال عن ثورة الأحرار فى نادى الضباط...

وله أن يسال عن خطة الأحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب...

وله أن يسال عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعد قيام الحركة.!؟

له أن يسال عن كل هذا؟

جمال عبد الناصر يرسم خطوط الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام..
- الجيش والشعب مظلومان!
- الملك والأحزاب فى خدمة الاستعمار.
- من الذى تقدم لحماية الملك..؟
- الفساد والرجعية والحزبية البغيضة.!
- لابد من قوة تقضى على الإقطاع..

يستطيع قارئ هذه الصفحات أن يبدأ من هنا فصلا جديدا من تاريخ هذه الثورة.

وهو فصل يختلف عن كثير عما تضمنته الصفحات السابقة.. فحيث قام التمهيد الأول، للثورة، على أساس أكثره عاطفى، وحيث استطاعت الظروف والأحداث والتقلبات السياسية أن تكون عاملا اساسيا فى دفع خطواتنا الأولى وتوجيهه.. وإملاء أعمال واتصالات معينة علينا.. فإن الشطر الثانى من هذا التمهيد الطويل للثورة، أو الفصل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميز أول ما يتميز بسيطرة العقل على كل خطواته، التى بدأت تقوم على أساس معين مدروس، والهدف محدد مدروس.. وفى تتابع منطقى، لا صلة للأحداث الوقتية به، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش، وبعث اليقظة الحقيقة، واشعار الأفراد بأن القضية قضية كل منهم.. واشعارهم.. بضرورة الثورة..

وأن كانت الصفحات السابقة، قد حوت أعمالا، واتصالات، أساسها انفعالات فردية أو شبه فردية بالأحداث.. فلن تضم الصفحات التالية سوى أعمال، تنظيمية، تنتفى منها الروح الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم، ونتائج المناقشات والأبحاث بين العناصر التى اجتمعت وتآلفت، وحددت أهدافها.

لقد آن وقت العمل الجماعى المنظم.. وبدأ جمال عبد الناصر يخرج من صمت المراقب، إلى حركة القائد الذى يعد العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على أمرها تحت أقدام الطغاة...

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل أن يوضع تاريخ لبدئه.. لامكن أن يقال أنه بدأ فى 8 مايو 1946، نحدد هذا التاريخ، ولا نقصد به أن أعمالا معينة بدأت فى هذا اليوم بالذات.. وانما نعنى فقط أن هذا اليوم، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم، تبدأ بعدها فترة أخرى.. ومصر، كجزء من العالم، تتأثر حتى بأحداثه الكبرى كما أن ظروفها الداخلية، كانت لابد أن تتاثر، بهذا اليوم أيضا.

أنه يوم انتهاء الحرب فى أوربا...

اليوم الذى أنتظره العالم طويلا، وخدع به العالم كثيرا.

فقد سمى يوم السلام!

وقد سمى يوم النصر!

واعتقد الناس، أو هكذا ضللهم سادة الغرب، أن العالم قد بدأ حقبه حقيقة من السلام.. وأن قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام، وأن هذا الخير سيعم جميع الأمصار والشعوب، وأن المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب، سيصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الإنسانية.

ولم يقل أحد لهم أبداً، أن سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه، وأن المواثيق والعهود، قد أعدت لأحاديث الدعاية فى أذاعاتها ونشراتها وأفلامها وصحفها، وأنها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب. آلم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى وألم نكن قد قرأنا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، وألم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ أن هذا الميثاق جب أن تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس، لانه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الإنسانية بعد أبشع مجزرة شهدتها الحياة.

الفرصة المناسبة

كنا نسمع هذا، كما كان العالم يسمعه، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها، لا أيمانا منا بصدق هذه الدعايات، ولكن لنبدأ خطى جديدة على أرض واضحة المعالم.

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى أشياء كثيرة...

يعنى تبلور الأوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات.. وانما تسمح بشيئين أثنين...لا وجود لثالثهما العمل لمصر.. والعمل ضد مصر.

ولكل من العلمين طريق واضح، ومظاهر لا تخفى على أحد.. وليس بين الطرفين طريق وسط..

هذا هو أول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة إلينا.

وكان يعنى شيئا آخر..

كان يعنى قرب انتهاء الأحكام العرفية.. الكابوس اللعين الذى وضع مصائر الأحرار تحت رحمة مخابرات الإنجليز وجواسيسهم والذى كان يتهدد كل من يحاول لأن يخطو خطوة وطنية واحدة خلال إعلانها..

وأن لم تكن هذه هى الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم، فليست هناك فرصة أخرى...

تجارب السنين

ولمح جمال عبد الناصر هذه الفرصة التى كان قد فكر فيها طويلا خلال الحرب.

ثم بدأ ينظم خطوطه، ويحدد أعوانه، ويرسم خطواته لهدف كبير وكان جمال الذى يعمل، هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة، سنوات الحرب، وما تخللها من أحداث داخلية وخارجية، وما رآه فيها من هزات عنيفة، ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة.. ومن بطولات زائفة، وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش، أو فرضت عليه، ومن دعايات مثيرة، غرق فيها الشعب وتهدف كلها إلى تضليله لكي يكسب الاستعمار وأذنابه من الخونة واصحاب المصالح والحكام الفاسدين.

وكان جمال يرى أن هذه الظروف والأحداث والصور قد مرت بغيره مثلما مرت به.. وأن هذا الغير قد تأثر بها والفعل، وأكتسب وعيا جديدا، نشأ فى فترة الحرب وآن له أن يتجمع.. وأن يعمل وعيا فى كثير من عناصر الشعب.. ووعيا فى كثير من عناصر الجيش.. وعيا لابد أن يحرك أصحابه إلى عمل معين أو اتجاه نعين.. ولا بد لكى تنجح خطى أصحابه، أن تتجمع وأن تتوحد وأن تتحدد أهدافها.

الجيش والشعب

وكان أيضا يرى عقبات فى الطريق.

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية فى الجيش، تسيطر عليها نفس الأفكار والمبادئ التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب.. وعلى الرغم من شعوره بأن ما يسخط منه أفراد الشعب وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده.. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا..الا أنه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب..

فقد كانت صورة الجيش فى ذلك الوقت هى صورة" الكرباج" الذى يلهب به الطغاة ظهور أبناء الشعب، هو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملك أن يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار أو سخط أنها الصورة التى رسمها الإنجليز وشاركهم فى إظهارها.. ووضع الإطار حولها، حلفاؤهم: القصر، والأحزاب.

وأصبح الشعب لا يخشى الملك، لا لانه مقدس، أو لان القانون يحميه، ولكن لانه القائد الأعلى للجيش، والمسيطر على تحركاته، والآمر فيه والناهى...

والجيش مظلوم...

والشعب مظلوم...

فلم يكن جيش مصر أجنبيا عن أبنائها، لم يكن جيشا من المماليك أو المرتزقة.. ولكنه كأن جيشا من الشعب.. مشاكله هى نفس مشاكل الشعب.

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها بأساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة، تجعله يخشى جيشه، وكأنه جيش احتلال.

كانت هذه هى الحقيقة الأولى فى الموقف.. أن الشعب يعتقد أن هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه.. وأنه يائس من إمكان القيام بالثورة الكبرى، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه، ولن يقاتل عن مطالبه. وأنما سيقف فى وجه أبنائه يضربهم بالحديد والنار، ويحطم معنوياتهم، وينصر عليهم الظالم والطاغية والمحتل.

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه، فليس من ليسير أن تخلق ثقة وأيمانا، حيث لاثقة ولا أيمان.

الحلف الكبير

وكان هناك إلى جانب هذا العامل حلف آخر كبير.. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة.

وكان هذه الحلف، يجمع بين الملك والأحزاب،والرجعية ويعمل بوحي الاستعمار، أو يعمل لصالحه.

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا.. فنتم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة.. ولكن شيئا فى الوجود لا يستطيع أن ينفى عن هذه العناصر جميعا، أنها كانت تخدم الاستعمار، ضالة.. أو عامدة فإما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا فاهما لما يعمل حق الفهم كان الملك قد عرف تماما أن الهوة سحيقة بينه وبين هذا الشعب.. وكان الذين حوله، من الحاشية الفاسدة والرواد الخائنين.. قد أقنعوه تماما، بأن كل تقرب من ناحيته إلى الشعب، سيزيد من فهم هذا الشعب فى مطالبه.. وأن هذا الشعب أن لم يضرب بالسياط سيتغول، ويتحول إلى خطر داهم عليه وعلى أسرته وعلى عرشه أيضا..

من يحمى الملك؟

وكان حسنين يقول بلسان الملك،" **لقد عرض الملك عرشه فى الطريق، فلم يتقدم لإنقاذ هذا العرش أحد من أبناء شعب مصر**"...

وهو يعنى يوم 4 فبراير، حينما تحدى الإنجليز.. فلما أنتصر الإنجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء، هتف الشعب للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى ألقى الإنجليز به .. فى الطريق.!

وكان حسنين يبرر بهذا الملك، الذى بدأ يبدو من تقربه للإنجليز، وخضوعه لأوامرهم وبيعه نفسه لهم.. فالملك بحاجة إلى من يحميه.. وقد أثبت الشعب، فى 4 فبراير أنه غير مستعد لحماية الملك.

أحزاب الأقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك.. أحزاب الأقلية، التى لم تحلم يوما بالوصول إلى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير، وكانت هذه الأحزاب منذ نشأت تعرف أن طريقها إلى الحكم هو الإيقاع بين حزب الأغلبية وبين الملك، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد.

وكانت لذلك تأتى إلى الحكم بغيضة كريهة، وتذهب عنه مشيعة بلعنات شعب مصر....

ولكن الطريق قد دخلت عليه عوامل جديدة بعد 4 فبراير...وجدت هذه الأحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما تزعمه من وطنية الملك، ومن أنها تأتى إلى الحكم، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول حزب الأغلبية الحكم على حراب الإنجليز.

وبهذا بدأ الشعب يتعرض لحملة تضليل كبير مثيرة تشنها عليه أحزاب الأقلية، متحالفة مع القصر.. مع الملك وأعوانه ورواده وحاشيته.

الفساد...

أما حزب الأغلبية.. فقد أغرق فى الفساد، وداخلته شياطين الشهوة فضم إليه الإقطاعيين والسماسرة .. وربط بمصالحهم مصيره، وبدأ هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب.. تمثيلا صحيحا يقوده به إلى أهدافه الحقيقة.

لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية فى ابشع صورها وأصبح من العبث التفكير فى إصلاح هذا الحزب بعد أن قوض بنفسه الأساس الشعبى الذى يقوم عليه...

... والرجعية

ولم يكن هذا وحده هو كل شئ فى الجانب الآخر، كانت حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر.

وشعب مصر مؤمن متدين ولكن الأيمان والتدين شئ، ومحاولة استلا هذه الحقيقة فى الشعب، استغلالا يحولها عن الغاية السامية منها تحويلا كاملا.. شئ آخر.

فالأيمان والتدين خيران أصيلان فى طبيعة شعب مصر.

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق الدين أهدافا غير أهدافه، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر، ويفسد الجماعات .

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى كان يحوط سفينة الشعب.

استعمار قائم.. أحلاف من القصر والأحزاب والرجعية.. ودعايات تنصب انصبابا فوق رؤوس هذا الشعب المسكين، وكلها تحاول أن تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة إلى أدوار كثيرة أخري تخدم أهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين.

وفوق هذا كله.. فهناك جبهة الشعب أيضا، وما تعانيه من أمراض أمراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور.

أمراض أورثه إياها ذله الطويل تحت سياط الإقطاع والملوك والطغاة وجيوش الاحتلال.

أمراض منها التردد، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع، ومنها الخوف.. ومنها، ومنه... ومنها

أمراض لا سبيل إلى بعث هذا الشعب، الا باستئصالها، ولا سبيل إلى استئصالها الا بإزاحة أسبابها من الطريق.

لابد من قوة

فلابد أذن من قوة تعمل لإزاحة هذه الأسباب...

لابد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها

ولابد من قوة تقضى على الإقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك أن ترفع مستوى الشعب، ومعنوياته، وتزيل منها أثار الخضوع والخنوع والاستسلام والخوف...

ولا من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا حتى فقد الشعب الأمل فى الخلاص منه .. أو كاد يفقد هذا الأمل.

ولابد من قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الإنجليز، وتقف فى وجه الرجعية التى تضلل الشعب، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمة طوال القرون الماضية، وتثبت أقدامه فى طريق التطور والنهوض.

لابد من قوة تصنع كل هذا.. لنصل بالشعب إلى الأمل الذى يراوده : أن يحكم نفسه بأيدي أبنائه، وأن تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره.

ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمل.. غير الجيش.

الجيش الذى لا يثق به الشعب، والذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاة، والذى استطاع الاستعمار وأعوانه أنم يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه.

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته، ولكنه طالما وجد نفسه منأى ومنعزل عنه.

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات، الأعداء، والملك، والأحزاب، والرجعية، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الأمة...

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقوى جميعا أمام ناظريه... ثم بدأ....

بدا يرسم الوسيلة.. ويضع الخطوط، ويعد التنظيم الذى يستطيع أن يقود الجيش على معركته الكبرى باسم الشعب.

بدأ يصنع ذلك، فى الفترة التى يوم 8 مايو 1945.. يوم النصر كما أسماه الإنجليز.

اللجان الخمس التى أوجدها جمال عبد الناصر

- الإدارة الاقتصادية.
- أداره التشكيلات.
- إدارة الدعاية.
- كان سلاحنا زجاجات مولوتوف.
- الذين" وصموا" بالكفاح الوطنى.
- كانت الصداقة هى أساس التشكيلات.

بعد الدراسة المستفيضة التى قام بها جمال عام 1945 للموقف، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر أن يبدأ العمل الداخلى فى الجيش.

والذين يعرفون" جمال" يعرفون أنه رجل لا يبدأ عملا حتى ينتهى تماما من بحث جميع تفاصيله، ولا يخطو خطوة حتى يدرس الأرض التى سيخطو عليها، ويتبين جيدا معالم طريقه ويدرس قبل كل هذا، ما سبقتها من خطى...

ويوم قرر جمال أن يبدأ عمله التنظيمى الجديد.. كأن كمن يقف فى منتصف طريق متصل.. وراءه خطوات تتلاشئ مع الليل، وأمامه خطوات تبدو مع النهار...

وكان لا بد له أن يسلط أضواءه القوية على الليل الطويل من خلفه، ليدرس كل خطوة من الخطى السابقة فقد تعود أن يستفيد من هذه الدراسات وان يكسب كثيرا من التأمل فى أفكاره السابقة، وفى أفكار الآخرين.

وقد كان هناك شبه تنظيم حركى لنا، قبل عام 1945 وكان هذا التنظيم المبدئى، هو أول شئ أكب جمال على دراسته، يوم أراد أن يبدأ العمل الجديد.

كنا قبل عام 1942 قد انتهينا فى تنظيم أنفسنا، إلى تشكيل خمس إدارات رئيسية، تنفرد كل منها بدور خاص فى خدمة التشكيل...

وكانت هذه الإدارات على التوالى هى:

1- الإدارة الاقتصادية.

2- إدارة التشكيلات.

3- إدارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية.

4- إدارة الإرهاب.

5- إدارة الأمن.

وكانت ظروف كثيرة قد اقتضينا أن ننشئ هذه الإدارات الخمس، لنحقق عن طريق كل منها هدفا معينا...

وقد نجحنا فى بعض ما أملناه منها وفشلنا فى بعضه الآخر...

ولكنها جميعا قد أقامت بواجبها فى ظروف الحرب القاسية، واستطعنا عن طريقها أن نحقق كثيرا من الأعمال التى كنا نقررها.

وقد تبدو أسماء هذه الإدارات أسماء ضخمة، فيخيل لسامع كلمة" إدارة الاقتصاد" أو" الإدارة الاقتصادية" مثلا، أنها كانت إدارة منوطة ببحث المسائل الاقتصادية أو المالية للبلاد أو تصميم السياسة الاقتصادية المستقبلية عند نجاح فكرتنا.

قد يبدو شئ من ذلك.. وعندئذ تبدو مهمة هذه الإدارة عندما نفصح عنها ضئيلة هزيلة...

فقد وجدت هذه الإدارات لتكون فى خدمة التشكيل وحده، من حيث هو تشكيل عسكرى داخل الجيش.

وكانت لكل منها أهمية قصوى، عند إنشائها، وإلى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشكيل فى الاحتفاظ بكيانه خلال سنوات الحرب، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر.

وسأضع أمام القارئ هنا صورة لكل من هذه اللجان، أو الإدارات، ووظائفها وأهدافها.

الإدارة الاقتصادية

نشأت فكرة هذه الإدارة نتيجة للواقع الذى درسناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لانفسنا.

فالذي يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر، والذى يدرسه فى بقاع الأرض جميعا، يعرف دون مشقة كبيرة، أن من أهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الكفاح، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمة العيش التى لا يغرى الحصول عليها، ولكن يرهب الحرمان منها ولنحصر أنفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين سبقونا، وكيف جعل الاستعمار وحكوماته منهم عبرا، ورموزا للشقاء، ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح.

فقد كان من" يوصم" بالكفاح الوطنى، ينظر حوله فلا يجد يدأ تمتد إليه...

لا يجد عملا فى حكومة، ولا فى شركة من الشركات.. ولا رعاية من أصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح.

وانظر إلى الذين حكم عليهم بالسجن سنوات كثيرة وصلت إلى حد الأشغال الثالثة المؤبدة فى عام 1919 وما تلاه من أعوام الثورة المصرية المجيدة...

منهم من عفى عنه قبل أن تنقضى مدة عقوبته.. ومنهم من قضاها كاملة فى الشقاء...

فانظر إلى الفريق الأول، تجده قد انقسم طائفتين: طائفة غنمت الغنم كله فأصبح منها الزعماء والحكام والثراة وأعضاء مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الألقاب والرتب والنياشين...

هذه طائفة...

وطائفة غرمت الغرم كله.. خرجت من السجون لتجد تعاسة الحياة.. لتجد عقوق الوطن والأصدقاء وزملاء الكفاح.. لتعيش مشردة تسعى إلى لقمة العيش، فإن لم تجدها ـ وما تجدها فى رعاية الوطن، ذهبن تقتاتها فى معسكرات الإنجليز!

وأما أولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء مدة عقوبتهم...فياويلهم..! خرجوا للنسيان والتشرد.. خرجوا أشبه بفاقدى الرشد..تزوغ أعينهم فى جنبات الوطن.. لترى الشباب يهتف للزعماء، ويهتف للحرية.. ولو نظر أمام عينه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء، وإلى أى مصير ينتهى رواد الحرية والمكافحون عنها...

وكانت هذه الأمثلة كلها أمام أعيننا فى تلك الفترة التى أقدمنا على اجتيازها بجرأة الشباب، وحماسة الذين وهبوا للجهاد أنفسهم..

وقلنا أننا بشر...

وأننا لا نريد أن يتعرض أحدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء المساكين.

وأن علينا أن نتدبر أمر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على أعاله أى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات.

ونشأت هذه اللجنة.. لجنة كل مهمتها جمع المال، واختزانه، واستثماره ـ أن أمكن ـ بوسائل مأمونة لا تكشف عن حقيقتها، لكى لا نسير فى طريقنا، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف.

وبدأت هذه اللجنة تكون لها راس مال...

وبدأته فى حقيقة الأمر على حسابنا

فكلفتنا أن يضغط كل منا ميزانية ضغطا شديدا ليرى كم جنيها ـ أو كم قرشا!ـ يستطيع أن يقتطعه من مرتبة كل شهر لصالح التشكيل...

وفعلنا...

وكلفتنا بعد ذلك، أن يستدين كل منا على مرتبة قيمة شهرين من أحد البنوك، كما يفعل كثير من الموظفين.

وفعلنا.وأى فعل أعضاء التشكيل جميعا، فقد اعفتنى أنا اللجنة من هذا التكليف لانى إذ ذاك كنت المتزوج الوحيد بين أعضاء التشكيل، وكنت انفق على أولادى وزوجى من مرتب" اليوزباشى" المعروف...!

وعلمت اللجنة أن الفريق عزيز المصرى قد باع محصول حديقته من ثمار المانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهات الخمسين!

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك.. فاكتفت!

وكان يمكن رأس المال البسيط، الذى جمعناه حينئذ أن يكون نواة لا بأس بها لتمويلنا. ولكن عام 1942 جاء بأحداثه التى قررنا خلالها الاستعداد لإبادة الإنجليز العائدين من العلمين.. وكانت وسيلتنا إلى ذلك الزجاجات المعروفة بكوكتيل" مولوتوف" والقنابل والمسدسات المصنوعة محلية، والمفرقعات.

صورة

وكانت المشكلة فى هذه الخطة، هى مشكلة الحصول على الزجاجات الفارغة.. فوطننا لذلك رأس المال.. ثم فكرنا فى كيفية استخدامه.

وكان أن فتحنا" دكانا" لتجارة الزجاجات==، وأجلسنا فيه رجلا أمينا، أخذ يتعرف ببائعى الزجاجات الفارغة المتجولين.ز حتى عرفوا واعتادوا إليه آخر كل نهار، بما جمعوه من الزجاجات الفارغة.

ولم يكن هذا الفيض يكفى، فذهبنا إلى سوق الزجاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا.

كنا بحاجة إلى عشرات الألوف من الزجاجات الفارغة.. وكان رأس المال الصغير الذى جمعته لجنة الاقتصاد هو الذى مكننا من إتمام هذه العملية.

وعلى الرغم من أن المال الذى جمعته هذه اللجنة لم يستثمر، ولم يستعمل فيما جمع من أجله.. الا أن وجود هذه اللجنة كفكرة، ظل ماثلا أمام جمال عبد الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد.

لجنة التشكيلات

واللجنة الثانية، أو الإدارة الثانية كانت إدارة التشكيلات..

وكانت لهذه الإدارة أهمية خاصة نظرا للعمل الخطير الذى كانت منوطة به..

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها إلينا من ضباط الجيش فى مختلف الأسلحة...

وهى التى كانت تبوب هذه العناصر باعتبار أسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة.

وهى التى كانت تراقب مدى تقدم التشكيل أو تأخره بما لديها من المعلومات الدقيقة عن عدد الضباط الذين ينضمون إلينا، والذين يخرجون علينا.. ومعرفة أسباب زيادة الإقبال على تشكيل أو نقصه...

وكانت هذه اللجنة هى وحدها التى تعرف جميع الضباط الذين يناصروننا، وهى وحدها التى تعرف ـ فعلا ـ مدى قوتنا...

فعلى الرغم من أننا حرصنا منذ البدء على أن يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صلة سلاحه بالتشكيل الا أن هذا الضابط نفسه لم يكن فى أكثر الأحيان يعرف أكثر ضباط سلاحه، لانهم ليسوا من دفعته.. أو لانهم لم يخدموا معه فى مكان واحد..

أما هذه اللجنة فكانت مهمتها أن تعرف الجميع.. وأن تجمعهم لا على أساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على أساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم.. فقد كان أساس تشكيلاتنا، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفى الشكوك.

وكأن مفروضا أن تنتهى مهمة اللجنة عند هذا، وأن تحيل أمر الضباط الذين يخرجون على التشكيل إلى لجنة الآمن...

ولكننا لم نكن قد تقدمنا فى أساليبنا فى الفترة الأولى إلى هذا الحد...وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال أمامه..عند ما بدأ تنظيمه الجديد..

لجنة الدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية...

ولم تكن هذه اللجنة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجأ على الأساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات أو مراسلة الصحف..

وأنما كانت تساير الأحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيها الحالة العامة، فى جلسات الضباط فى" ميساتهم" أو بين الشلل المختلفة فى منازلهم..

وكانت الحوادث التى تقع فى تلك الفترة الكثيرة الأحداث، هى التى تدفع بدعايتنا كثيرا إلى الأمام.

ومن أهم الحوادث التى استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام 1940 وما تبعه من انعزال أنجلترا ووقوفها وحيدة أمام العدو، مما كان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا فى محنتها،لأنها لن تسلم بمطالبنا، ولن تخرج من بلادنا ألا وهى مرغمة صاغرة..

ومن الأحداث التى دفعت بدعايتنا كثيرا إلى الأمام أيضا فى تلك الأيام حادث الأمر الذى صدر إلينا بتسليم أسلحتهم للإنجليز، ورفضنا هذا الأمر، وحادث خروج على ماهر بعد بيانه المعروف.. ثم أخيرا حادث 4 فبراير الذى غطى على كل ما عداه!

هذا من حيث الدعاية داخل الجيش أما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة أن تقوم بعملية موازنة تماما لعمليتها الأولى داخل الجيش.ز وهذه العملية الجدية، هى جس نبض الكتل الشعبية ومعرفة اتجاهاتها ومدى تأثرها بالحوادث المختلفة. ونوع هذا التأثر ومدى استعدادها للمعركة..

وعن طريق هذه اللجنة تعاونا حينا من الزمن مع بعض شباب الحزب الوطنى كما عرفنا عن طريقها الأستاذ عبد العزيز على وكان إذ ذاك لا يزال مسيطرا على الجهاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفسه عام 1919.. وقد ظل يتعاون معنا بعد ذلك لفترة طويلة. وأفدنا من معونته كثيرا..

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضع تنظيمه الجديد.أما اللجنتان الأخيرتان، وهما لجنة الإرهاب والأمن فإنه لم يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الأضواء عليهما.

قصة إلقاء الأول بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وأم درمان
- جهلاء فى منصب القيادة!
- "فكرة الحياة" لا تختفى:
- خمر بأمر القائد..!
- هروب من النافذة.!
- خطة ماكرة..!

بهذه الحلقة يبدأ الطور الثانى من أطوار التمهيد لثورة 23 يوليو.. وهو الطور الذى بدأه جمال عبد الناصر، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الأولى المليئة بالمخاطر والمشقات..

وأن كان جمال قد أشعل الجذوة فى ليالى منقباد.. وأن كانت هذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا، نلهب بها سواد الأعوام المظلمة .. فقد ظل جمال مراقبا لهيبها مسجلا لانتصاراتها، مستفيدا من تجاربها..

وكان فى صمته، خلال نقله إلى السودان، وبعد عودته من هناك ما بعد لجذوره أخرى لا يظهر ضوءها، ولا يفرغ زيتها.. جذوة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضئ الطريق..

وفى خلال الأعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى، ونختفى لنظهر.. كانت عينا جمال الفاحصة تبحث عن الرجال والأعوان..

ولعل انتصاره الأول فى هذا الميدان.. كان لقاؤه لعبد الحكيم...

وبقصة هذا اللقاء.. يبدأ هذا الطور، من أطوار التمهيد للثورة.

إلى السودان

السودان...

السودان.. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر.. وتهرع مصر للقائه جذلى.. كان فى تلك الأيام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش...

ولا يسال أحد: لماذا كان السودان منفى؟! فهكذا كان.. وكانت أسوان أيضا منفى.. والعريش.. والصحراء الغربية.. وكل بقعة خلا خارج القاهرة .. والإسكندرية!

وفى الجيش، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضوبا عليه.. فمنذ أيام منقباد وثورتنا على الأوضاع هناك.. على البعثة الإنجليزية.. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد.. منذ تلك الأيام المجيدة من أعوام الشباب.. كسب جمال كراهية القومندانات.. وحقدهم.. وتوقعهم الفرصة لإيقاع الأذى به.

وكان معروفا أن الكتيبة الثالثة ستتحرك إلى السودان..

وعندما يقترب رحيل كتيبة إلى السودان، يرسلون إلى الكتائب الأخرى فى أنحاء الديار، لكى تبعث إليهم بأسماء" المغضوب عليهم" من ضباطها.. لكى يساقوا إلى المنفى يوم الرحيل..

ولكنه لم ينتظر أن ترسل به كتيبه إلى المنفى..وأنما سارع بنفسه ليقدم أسمه، ليكون بين الراحلين...

ودهش إخوانه لهذا التصرف... وكانوا يحبونه، ويحبون أن يبقى بينهم..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير.. وكان قوة مجهولة تدفعه دفعا إلى زيادة شطر الوادى الحبيب.. واستقراء الحقيقة فيه...

عبد الحكيم.. هناك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل، لا تزال فى المكس بالإسكندرية وكان على جمال أن يمضى إلى الإسكندرية ليلتحق بها، ثم يرحل معها إلى أرض الجنوب...

وفى ليلة السفر إلى الإسكندرية، التقى به الصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته، وكان من أصدقائه الخلصاء.. وسأله:

- **أترحل إذا؟**

بإذن ا ..

- **هل تعرف أحدا من الضباط هناك؟**

أبداً..

- **أسال إذن عن الملازم عبد الحكيم عامر، وتعرف به..**

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار إليه عن عبد الحكيم...

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس السطحية البسيطة.. ولم يتوقع أبدا أن يكون عبد الحكيم ـ هذا ـ صديق عمره، ورفيق جهاده الكبير...

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الأول بعبد الحكيم شيئا.. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر...

يذكر أن نبأ وصول جمال إلى الإسكندرية كان قد سبقه إلى هناك..

ويذكر أنه قام من فوره، وذهب يستقبله كصديق، أو زميل جديد..

ويذكر أنه قدم إليه نفسه.. ثم قدم إليه التسهيلات المستطاعة...

ويذكر أيضا.. أن جمال كان" قرفانا" وأنه قابل صنيعه شاكرا.. ولم يبد عليه أثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار...

نقيضان...

وقد تسجل الأيام أن لقاء عد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم.. بالإسكندرية...

ولكن هذا اللقاء، لم يكن شيئا...

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك أبدا فى حياتهما.. والذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان.. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك..

أما اللقاء الحقيقى.. والتعارف الكامل.. فقد بدأ فى الخرطوم...هناك عاشا معا.. وعرف كل منهما صاحبه.

ولكنهما لو يقطعنا مرحلة التعارف فى يوم أو أثنين، ولا فى أسبوع أو أسبوعين...

فقد كانا نقيضين فى كل شئ...

كان جمال شديد التحفظ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع..

كان جمال هادئ الأعصاب دائما.. مهما حدث، ومهما رأى.. وما أكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الأبية...

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء!

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم، فى هدوئه، وصمته، واتزانه البالغ، قد لا يصدقون هذا الكلام، وقد ينكرون هذه الصورة...

ولكن الأيام التى مرت بعبد الحكيم فى أثنى عشر عاما.. والأحداث التى هزته هزا.. قد استطاعت أن تغير فيه كل شئ.. وأن تبدله أنسانا آخر، لا يعرفه اليوم من عرفه بالأمس القريب...

الأسد الهصور

وأخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين..

وكان أول هذه العوامل.. قومندان الكتيبة.

كأن قومندانا من نوع فريد قل أن يوجد بين الضباط مثله..

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان، قططا فى ثياب أسود..

عرفناهم أذلة للضباط الإنجليز.. أعزة علينا، نحن أبناء الفلاحين..عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا وأعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق...

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا.. ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولاعتبراهم صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية...

ولكن الصلف والغطرسة، كانا مظهر التعويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها...

جهلاء.. فى مناصب القيادة..

أذلة لأصغر ضابط أنجليزى. وعلى أكتافهم المزيد من النجوم والتيجان..

وتحت أمرتهم، شبان صغار.. كبرت بالعلم مقاييسهم، وبالصورة والوطنية أنفسهم وقلوبهم..

هكذا كان موقف القومندانات منا...

ا,هذه كانت أسباب هذه الموقف...

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان، كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار، تحكما من نوع جديد، لم نعرف له فى الجيش مثيلا.

من النافذة!

كان الرجل ولوعا بالشراب.. ما يكاد المساء يقبل، حتى يعد عدته لسكرة تذهب بعقله.. وتريه نفسه أسدا هصورا يملا زئيره الفلوات...

ولم يكن يجب الشراب وحده...

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الإنجليز.

فكان الحل الطبيعى عنده.. أن يأتى بضباطه.. بالأمر!! وأن يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء..

وتصوروا.. شرابا بأمر القائد.. وفى مجلس الأسد الهصور.. لقد كان الضباط جميعا ـ حتى الذين يشربون الخمر منهم ـ يضيقون بهذا التكليف الثقيل..

ولكن جمال، لم يكن يضيق فقط، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم... ويفسد على القائد مجاس الشراب...

وماذا يستطيع أن يصنع، وقد أمتنع عن المشاركة فى الشراب، فصدر === فى جلسة الشراب...

وكانت ليلة لا ينسابها جمال، ولا عبد الحكيم.ز حينما حاولا أن يتركا مجاس القائد.. فرفض وزمجر وقام إلى أبوابه فغلقها...

وتلفت جمال حوله.. وانتظر حتى شرب القائد كأسين أو ثلاثة. وبدأ يصول فى المكان ويزار...

ثم أشار إلى عبد الحكيم.. وقفز من النافذة.. وقفز عبد الحكيم خلفه.. وتبعهما الضباط جميعا...

وعاد القائد إلى مجاس الشراب، ليجده خاليا خاويا من السمار...

ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا!.. فبعد حقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى إحدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا...ويضحكون..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة.. هو القومندان المهيب!.

ومنذ الصباح التالى، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم.. فقد فهم أنهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره...

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه فى هذه الحرب الباردة.. حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما.. لآن عبد الحكيم قد هبط إلى القاهرة ليلتحق" بفرقة" دراسية من فوق الجيش...

انتفاع...

وادرك القائد انه لم يعد أمامه سوى جمال.ز وأن جمال وقد أصبح وحده الآن، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم!

ولكنه لم يلبث أن نكب فى فطنته.. فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال.. وزادت فنونها..

وفى يوم من الأيام، أصدر القومندان أمره بنقل جمال إلى جبل الأولياء..ليستريح منه.

واستراح فعلا.. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم..

وأتم عبد الحكيم فرقته، وعاد إلى الخرطوم.. فلم يجد" جمال" ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر:

- **ماذا بينك وبين القومندان؟..**

ويجيب عبد الحكيم فى حذر أيضا:

- **لماذا؟**

فيسر إليه أركان الحرب، أن القومندات لم يكد يعلم بنبأ عودته، حتى استشاط غضبا وأصدر أمره بنقله إلى كسلا..

خطة...

وكان عبد الحكيم قد عرف أن "جمال" قد نقل قلبه إلى جبل الأولياء.. وفهم أن القومندات يريد التخلص منه كما تخلص من جمال..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا.. ويعرف أن هذا النقل ليس الا انتقاما..

وكان يريد أن يذهب إلى جبل الأولياء بدلا من كسلا بأى ثمن...

وابتسم عبد الحكيم فى وجه أركان الحرب، وقال له:

- **أن" عفشى" لا يزال مربوطا.. وأنا أحب أذهب إلى كسلا..**

وتركه قليلا ريثما بلغ هذا القومندان.. ثم طرق باب القومندان، ودخل.. ولم يكد ينته من التحية حتى سأله فى تلهف:

- **متى أذهب إلى كسلا؟!**

ودهش القومندان، وقد وقع فى روعه أن لعبد الحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح من أى نوع هناك.. ثم زمجر وقال:

- **من قال لك أنك ذاهب إلى كسلا.. أنى لن أبعث بك إليها..**

وستذهب إذا إلى جبل الأولياء!!

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة!

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم إلى جبل الأولياء. إلى صديقه. جمال..

فكر الحياة

وفى جبل الأولياء.ز زادت الصداقة عمقا بين الزميلين.. واكتمل التفاهم بينهما.. فى كل شئ..

صوره

كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج

وكانا يقضيان معا أيامهما.. فى رحلات الصيد

وعندما يذكر أحدهما تلك الأيام وتلك الليالى، لا يكاد يذكر الشطرنج ولا يصيد، بقدر ما يذكر لمشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما.

فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات!!

ولم يكن فى جبل الأولياء من الضباط سواهما...

فكان جمال هو القومندان، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد.! ولم يكن بد إذا تشاجرا صباحا أن يصطلحا فى المساء.. وإذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح.!

ولكن هذه الفترة.. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما.. وبالتفكير المتصل الموحد.. فى حالة الجيش.

فقد أقتنا تماما، أن المشكلة ليست مشكلة الكتيبة.. ولا القومندان ولا الرؤساء الإنجليز...

ولكنها مشكلة الجيش كله.. والبد كلها..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والأوضاع القائمة فى البلاد.. كان الحاكم العام فى السودان، هو القائد الأعلى للجيش هناك، بما فى ذلك الجيش المصرى.. وكان لا يخفى احتقاره لجيش مصر.. ولا كراهيته للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم.

وما حدث فى تباب الشريف..

حدث فى جبل الأولياء..

أنها الجذوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره...أنها القرار، والتصميم الذى تتمخض عنه الناقشات معه.

أنها الفكرة" فكرة الحياة" التى انبعثت هناك فى تباب الشريف، قد كسبت رجلا جديدا.. عبد الحكيم عامر..

لابد من القضاء على الاستعمار.. بأى صورة، وبأية وسيلة.. لابد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا العار الجاثم فيهما.

لابد من عمل شئ .. شئ عظيم..

ومثلما حدث معنا أيام تباب الشريف. وحين صدرت حركة التنقلات فى الجيش، فذهب كل منا إلى مكان.. حدث مع جمال وعبد الحكيم..فلم تلبث الأوامر أن صدرت بنقل عبد الحكيم إلى منقباد.. ونقل جمال إلى الصحراء الغربية.

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا.. ولكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا، حتى التقيا مرة أخرى فى القاهرة فى ديسمبر 1942...عقب حادث 4 فبراير المشئوم..

وعندما التقيا.. بدأت أحداث جديدة، لم تعرف القاهرة أكثرها.. ولكن تسجلها هذه الصفحات.

أول ثورة في نادى الضباط

- لحساب من كان يعمل أحمد حسنين؟
- خطة الحركة الأولى..!
- أحمد حسنين ينصح...
- حذار.. وليس قنبلة...

- معركة من نوع جديد...
- أين الطريق...؟

الحقيقة التى يجب أن يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات، أو يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة، والخطوات التى مر بها التمهيد لها، هى أن الذين قاموا بها وأعدوا لها، لم يبدو خطواتهم بوعى كامل وأنما تدرجوا فى وعيهم السياسى ، مع الأحداث والأيام...

ولعلهم احسنوا الظن يوما برجل أو جماعة أو حزب.. ولعلهم علقوا على هذا الرجل، أو هذه الجماعة، أو هذا الحزب أملا.. ولعلهم ساروا أشواطا خاف هذا الأكل...

ثم جاءت الأيام، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها، وجاءت الأحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا، ويفتح عيونهم لأدراك جديد، ويوجه خطواتهم إلى طريق أكثر وعيا، وأقرب صلة بالهدف...

والهدف الواحد.. الهدف الكبير الذى لم يتغير، والذى تعتبر كل الأهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة، وسائل إليه، هو القضاء على الاستعمار، وإزالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر...

وليس غريب فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف، أن تلتقى جماعتنا بكثير من الأحزاب والهيئات والأفراد.. فقد كان هذا الهدف، هو البيرق الذى يرفعه كل تشكيل سياسى فوق بآيه ، والذى يخطف بريقه أنظار الشباب المتعطش للخلاص.

وليس غريبا أيضا فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف، أن تنأى جماعتنا بنفسها نايا شديدا، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها، سواء أكانت الوسيلة حزبا، أم جماعة أم فردا.

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث 4 فبراير، فترة نشاط ثورى كبير، لا فى جماعتنا وحدها، ولكن هنا، وهناك.. فى الجيش، والجماعات، وطوائف الشباب القومى والحزبى، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية، المدنية والعسكرية.

وكانت هذا الفترة لذلك،محكا للإفراد والجماعات، ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعاون بين المخلصين

بعد 4 فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث 4 فبراير..

وكانت مجالا لنشاط كبير.. وهنا وهناك..

فقد كان الملك ـ مثلا ـ يظهر أمام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين، وأراد أن يقود شعبه إلى الخلاص منهم فغلبوه على أمره، واستلوا منه سيفه وصولجانه والزموه قصره كالطير السجين.

وكانت الأحزاب المعادية للوفد، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى، أن تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ون عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره، وسيلة لإكساب الأنصار، وبث الدعاية الحزبية، والتمهيد للثوب إلى الحكم فى ثوب وطنى، بعد أن كانت لا تعرف طريقها إلى الحكم ألا وأنف الشعب راغم تحت أقدام القصر والإنجليز.

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات، قد زج بها فى السجون والمتعقلات ومستشفيات المجانين...

وبقيت خارج الأسوار جماعة الأخوان المسلمين من ناحية

وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتذكر وتزداد سخطا، أو تجتمع لتدبر أمرا كهذا الذى كنا ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقال معى عزيز المصرى.. وآخرون..

جماعات .. واتجاهات

كنت أنا إذن أعمل من ناحية..

وكان الأخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت منه فى بعض الصفحات السابقة..

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك، وتضم شبابا ثائرا ساخطا..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقد فى حى الزيتون ضمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين، القائمقام صلاح حتاته مدير سلاح المشاة الآن.. وكانا إذ ذاك لا يزالان صغيرين سنا ورتبة..

واجتماعات أخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف، على نحو سنفصله على صفحات قريبة .

كان كل يعمل فى طريق.. وكانت أغلب الخواطر تتجه ناحية القتل والإرهاب. قتل الإنجليز وأعوانهم، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور.. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا إلى التريث والتفكير، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا إليها فى أتزان.. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار، حتى صمام التعزى بالأمل...

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة، يحاولان أن يصنعا شيئا..

ولكى الميزة التى أمتاز بها جمال، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير.. استطاعت أن تنأى بهما وبمجموعة أصدقائهما عن كل عمل طائش، أو خطوة غير مأمونة..

الحركة الأولى

حتى كان عام 1944.. أى بعد أن قضت وزارة النحاس فى الحكم ما يقرب من العامين.

وكان قد أصبح واضحا أن هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل ما يطلبه الإنجليز إليها.. وأن الملك قد أصبح عاجزا عن كل مقاومة... وأن مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزارء إنجلترا..

ولم تعد الأعصاب، تستطيع مزيدا من الاحتمال...

ولقد أصبح هذا الوضع الشائن مثارا لأحاديث بين الضباط فى كل مكان.. الكل يتكلم.. الكل يهمس.. الكل يفكر..

ورأى جمال أن فى الإمكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش، بتحويلها إلى حركة موحدة واضحة، وسيلها معارضة هذا اللون من الحكم، وهدفها تحدى الإنجليز..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة وأعداد العدة لكل احتمال..

ثم أتفق جمال وعبد الحكيم على ألا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها..

ومرت أيام، فوجئ بعدها أعضاء مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، وكبار اللواءات والقواد فيه، بدعوة موجهة إلى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم...

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضابط يحضر هذا الاجتماع فى موعده...ثم فوجئوا بمناقشات سياسية واضحة، وخطابات جريئة، وقرارات لتخذ...

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية، وهذا النشاط الذى لا تقره تقاليد الجيش..!

وإذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم، من جانب الضباط الصغار.. وإذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له، رغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الأسلحة، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل..

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم أحمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الإنجليزي السافر فى البلاد.. وإفهامه أن الضباط جميعا مستعدون لآى أمر، مهما كان هذا الأمر.. أنهم إذا يلجأون إليه فى هذا السبيل. أنما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة الشديدة التى تضمن الا تضار مصلحة البلاد بشئ...

وذهبت اللجنة فعلا إلى المرحوم احمد حسنين وقابلته فى مكتبه.. وناقشته كثيرا.. ولكنه خذلهم.. وأضاع هذه الجهود التى جمعتهم وكتلتهم، بنصيحة واحدة وجهها إليهم، ثم تشبث بها تشبثا شديدا.. هى الا يقوموا بأى عمل من أى نوع كان ـ فى نظره ـ غير مناسب الشيء.

وعادت اللجنة بهذه النصيحة.. ولم تكن تعلم، ولا كان أحد فى البلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الأسرار..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع، أثبتت أن أحمد حسنين.. وأنه فاروق، ورئيس ديوانه وظهيرة ومرشده يوم حادث 4 فبراير، وقبله، وبعد.. والرجل الأول فى القصر المعتدى عليه.. أحمد حسنين هذا، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة، يتصل بالإنجليز.. لا لمصلحة البلاد.. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد، يستطيع أن يقضى لهم من المصالحى ما كان الوفد يقضيها.. وأن ينفذ لهم سياستهم" الديمقراطي" فى حكم البلاد وتوجيهها...

أحمد حسنين كان يريد أن يكون بطل 4 فبراير الثانية.. ولكن بغير دبابات.!!

ومع ذلك، فلم تكن شكوكنا فى أحمد حسنين قد بدأت فى ذلك الوقت ولم نكن لذلك أن نجد تحليلا سليما لموقفه..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة، هاجوا وماجوا.. واوشكوا على الانفجار..

سباب فى الطريق

وكان لابد من صمام أمن آخر...

ولم يكن صمام الأمن هذا سوى التفتيش.. التنفيس بالقول: بالصوت، بالكلام.. ما دامت الكتابة ممنوعة، والأعمال الإيجابية...لا يرضى عنها الرجل الأول فى قصر الملك..

وتم الاتفاق على أن يخوض الضباط معركة من نوع جديد.. معركة لا تجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات، ولا اعتداءات.. معركة ليست بالفردية، ولا بالجماعة، وأنما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر.

ورأت القاهرة ضباط الجيش، بملابسهم الرسمية، يختلطون بالناس فرادى، فى المقاهى والمجتمعات، وعربات الأتوبيس والترام ... وساعات الصلاة.. ويثيرون مسائل الحكم. ويوجهون السباب علنا، للإنجليز والوزارة التى أقامها الإنجليز..

الصورة

ولم يكن المراد بهذه العملية، مجرد أثارة الشعور الشعبى ضد الإنجليز وضد حكومة النحاس.. ولكن كان الغرض منها أشعار الإنجليز والحكومة نفسهما، بأن ضباط الجيش قد فاض بهم، وأنهم قد أصبحوا على استعداد لاى شئ...

حذاء.. لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت.. حتى كان حادث، لم يكتف فيه بطله" الضابط" بكلمات السباب والتجريح...

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى....

وما أن انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته، الا وتقدم منه ضابط شاب من السواحل هو أبو شبانه وألقى بحذائه على عربة النحاس ويبدو أنه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة، فقد أخطا الحذاء عربة النحاس، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق...

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها.. وظن البعض أن الحذاء يخفى قذيفة من نوع آخر أشد خطرا وفتكا.. فارتاعت القلوب، وهلعت الأفئدة، وحو قلت الألسنة، وبسملت الشفاه. وأنتهى الآمر بالقبض على الضابط.. صاحب الحذاء..

... ومحاكمات!

وفى ثوان معدودة، كان الفريق حمدى سيف النصر" باشا" وزير الحربية، قد أبلغ بنبأ العدوان الأثيم.. وفى الدقائق التالية، كان قد توجه إلى وزارته وجمع هيله وهيلمانه، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه..

ولاول مرة عقد المجلس العسكرى، فى الدور الأسفل من وزارة الحربية.. وجئ أمامه بالضابط المتهم.. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه، يستجوب الشهود بنفسه قبل أن يمثلوا أمام المجلس، ويلقى إليهم بتفاصيل ما يشهدون به، ويهددهم بكل تهديد مستطاع!

وليس أمر هذه المحاكمة، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات، فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها، لكل منهم.. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانه قائلها.. وسامعيها!.

ولكنها حادثة من الأحداث، التى وقعت فى تلك الأيام، نتيجة لعدم اكتمال الوعى السياسى فينا...

فحقيقة كنا إلى ذلك العام، نأمل كثيرا فى وطنية الملك... وكنا نصنع كل هذا، لمقاومة الإنجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها.

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا، حتى أدركنا أننا كنا على خطأ عظيم وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا، وأصبح واضحا أمامنا أن كل شخص ممن كنا نعرفهم، ونعلق الآمال عليهم، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه، وأنهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم، والوصول إلى مقاعد الحكم، والسيطرة والسلطان...

حتى الملك المطعون فى قصره، أدركنا من أمره مالم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته...

وحتى الأحزاب التى لبست أثواب الملائكة، لم نكن نستطيع أن نتصور مدى القذارة الموغلة فى أبدانها تحت هذه الأثواب البيضاء الناصعة...

أين الطريق

الكل سواء...

الكل يعمل لنفسه..

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شئ...

الكل على استعداد للبيع.. والتسليم..

الكل عدو لمصر.. صديق لاعدائها..

والظلام كثيف..

لا أمل فى الملك.. ولا أمل فى الأحزاب..

والأمل الوحيد قد يخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة.. وجوه خرافية تصنعها أوهامنا ، ونتمنى أن نلقاها على مسرح الحياة..

ولكن.. أين الوجوه.ز وأين مقام هذا الأمل، فى عالم الحقيقة...

هذا ما لابد أن نصل إلى جواب إليه..

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه أن تظهر والظلام كثيف..

لابد أذن أن ينقشع الظلام..

ولكن.. كيف ينقشع الظلام؟

هذا محور التفكير الذى أدى إلى تشكيلات كثيرة عسكرية وشعبية.. تناولها هذه الصفحات.....

دور عزيز المصرى فى معركة الحرية

- لا آلات ولا أدوات...
- حقيقة منشورات مصطفى صدقى..
- قصة اعترافات حسين توفيق..
- حيلة القاويش...
- ضباط يحلفون يمين الأخوان المسلمين!
- نصيحة العمر...

عندما يتكاثف الظلام، وتتعذر الرؤية، ويتخبط الناس فى طرقات الحياة، وتتشعب بهم مسالكها..يختار ا   من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر، فإذا هم يتوقفون عند العثرة، لانهم يتوقعونها، وان لم ترها منهم الأبصار..

وقد كان ا   معنا فى طريقنا الطويل إلى هذه الثورة، فأودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة، وجنب خطواتنا أكثر العثرات..

وفى طريقنا هذا الطويل، لمعت أمامنا أضواء، وتبعت أقدامنا أقدام.. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها، واستقلال توجيهها واستطاعت أن تؤكد للجميع، أنها تستطيع أن تلتقى بخطوات الآخرين، ولكنها لا تستطيع أن ترتبط بها، لا متبوعة ولا تابعة، لأنها خطوات لا تمضى الا بإرادة أصحابها، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة، مهما افتقدوا الضوء فى الطريق...

منذ عام 1942.. وعقب حادث 4 فبراير ببضعة أشهر تقررت هذه الحقيقة، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى وعن كل قيادة خارجية..

وكل لهذا القرار, الذى أصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك، سبب مباشر وظروف.

ففى يوم من الأيام، توجه المرحوم الشهيد" وجيه خليل" إلى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماسه واتجاه تفكيره ويعرف أنه واحد من جماعة الضباط الأحرار يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم...

ولا شك أن بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق.. فالإرهاب دائما هو أول الحلول التى تتبادر للشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التى تجتاح الوطن...

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من أكثرنا.. بل لقد كان بعضنا يدبر الأمر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لا اختلاف عليها ولم تكن زيارة الشهيد" وجيه خليل" لعبد الحكيم الا صدى لوجود هذا الاتجاه.. فقد كان مقصورا بهذه الزيارة تدبير اغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الإنجليز وأعوانهم فى تلك الأيام العصيبة من أيام الحرب.

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنباه بنبئها..

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا إلى هذه القصة.. والأسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ، وتمويل الفدائيين ورعاية أسر من يتعرض منهم لسوء، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى" سوف" تدور فى الظلام...

وشئ واحد لم يستطع جمال أن يستخلصه من حديث عبد الحكيم.. من الذى سيدير هذه المعركة.. وما هى أهدافه منها...

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا إلى جمال..

وقال عبد الحكيم أن وجيه قد احتفظ بما بعد ذلك سرا وأن جماعته تريد أن تستعين بنا لما تعرفه عنا من استعداد لخوض معركة من هذا القبيل...

وقال جمال فى هدوء:

- **لا...**

ثم أردف:

قد نرى القيام بحملة إرهابية واغتيالات، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجه...فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش هو ألا نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا وهما كانت درجة إخلاصهم...

قال هذا جمال فى عام 1942.. وانتهت بهذا قصة" وجيه خليل" قبل أن تبدأ..!

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت يعد ذلك.. قصة عظيمة مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى أقدس الميادين...

فقد أنضم وجيه بعد ذلك إلى الأحرار وأصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم.. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط إليها .

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح.و هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع ما يكون ضابط وكأنبل ما يكون أنسأن.

يمين الإخلاص للدعوة

وفى عام 1944، 1945.. فى الفترة التى تناولتها هذه المجموعة من الصفحات، تكررت الصلات بين الضباط الأحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية، ومدنية ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام 1942. ظل دستورا لهذا المجموعة من الضباط.

صورة

فى هذه الفترة نشطت جماعة الأخوان المسلمين نشاطا كبيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش إليها. ونشطت نشاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر، ومجموعة أصدقائه..

وليس سرا أن عدد من الضباط كانوا قد آلفو دعوة الأخوان،واحبوها.. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها.

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه" اختياره" بواسطة الجماعة، ثم طلب منه أن يذهب إلى مكان ما... لحلف اليمين.

كانوا إذ ذاك يذهبون ليلا، إلى حى الصليبة فإذا ما ينطوى الحى عليهم، قادهم رسول الأخوان فى أزقة مظلمة متعرجة... حتى يصلوا إلى بيت عتيق.. فيصعدون درجا يؤدى إلى غرفة مظلمة، لا أحد فيها، ولا يفتح نوافذها..

ويجلس الضابط، وضع عليها مصحف، ومسدس.. ثم يدخل إلى الغرفة فى الظلام رجل لا يراه الجالس، ويلقنه يمين الإخلاص لدعوة، فيؤدى، هذا القسم وأبداه موضوعتان على المصحف والمسدس.

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا.. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الأخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به إلى خارج الحى..

التعاون..لا الانضمام

وكانت الصلة بين الأخوان، وبين ضباط الجيش، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرؤوف.. وكان عبد المنعم، يدعو ضباط الجيش إلى الانضمام لصفوف الأخوان، ويعرفون دائما بالصاغ" محمود لبيب" ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة..

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون.. أنهم كانوا يريدون متنفا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة، كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية...

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام.. فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن طريق العسكرة الذى يندرج فيه..

ولعل أخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الأخوان فى صلتهم بالضباط,, فقد كان الضباط ينضمون إلى هذه الجماعة، أو يتعاونون معهما، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الأخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه فداء الوطن.

ولكن تنظيمات الأخوان، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم.. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب.. فأذا أقبلوا وجودا واحد من المدنيين، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات..

وكانت هذه الأساليب تزعج الضباط إزعاجا شديدا.. فهم يقبلون على الأخوان، وعلى دعوتهم، كضباط مدربين، لا كجماعات فى حاجة إلى التدريب.. وهم يشعرون بمرارة واسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الإقبال الرضى، هو أن يعلمهم مدنى، كيف يستعملون السلاح!

وفوق ذلك، فلم تكن خطة الأخوان واضحة لهم.. ولم يكن أحد يصارحهم بشىء..

وكانوا يتساءلون.. متى نعمل، وما هو نوع العمل الذى نعد أنفسنا ونعد شباب الأخوان له.. فلا يجابون على سؤال..

وكانوا يتسالون: فما هو المطلوب منا..

فيقال لهم: أن تثقوا فى قيادة الدعوة.. وا، تعملوا ما يطلب منكم فى حينه فحسب...

ولم تكن هذه الفترة قصيرة.. فقد امتدت أكثر من عامين وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها، سيكون الناقوس، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب...

ولكن هذا الأحداث مرت، بكل رنين النواقيس.. والأخوان فى جمود.. والضباط المنضمون إليهم فى حيرى من أمرهم.. لا يعرفون ماذا يصنعون...

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسهم هذا المأخذ الشديد.. فكانوا يتكلمون فيما يضيقون به من الأمر. وكانوا يلجاون إلى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه...

وكان ممن ذهبت إليهم جماعة الضباط المنضمين الأخوان الفريق عزيز المصرى...

وللفريق عزيز المصرى، طبيعته النزاعة إلى التحرر من كل قيد.. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية، والعمل بالإرادة...

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا إلى الفريق عزيز المصرى، أنه قال لهم" كانوا أخوانا إذا شئتم.. ولكن لا تقفوا عند هذا الحد"..

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم: - إقراؤه.. إقراؤه كل كتاب.. إقراؤه فى السياسة ومذاهبها والاقتصاد وفنونه، والاجتماع وأبوابه.. إقراؤه وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه ا فيها لكى يهمل ويهال عليه التراب...

إقراؤه.. ثم أضربوا فى الأرض. واعرفوا الناس، وجربوا بأنفسكم كل شئ.. ولا تتقيدوا بدعوة، ولا بزعيم.. ولا تربطوا أنفسكم برأى قد ترون غيره إذا ما استنارت بالعلم رؤوسكم..

ينضمون للأحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا إليه تلك الأيام..

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الأخوان. ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد.. وبدأوا يقرءون..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر.. لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين، وبين ضوء العلم، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها..

وكل هؤلاء قد أنضموا إلى الأحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات..

وفى خضم تلك الأيام العصيبة من أعوام 1944، 1945، 1946.. حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى.. بعضها مدنى.. وبعضها عسكرى..

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الأحداث، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق إبراهيم عطا ا .. الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى صدقى وزملاؤه.

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين، أكثرهم من ضباط الصف.. تهدف إلى تطهير الجيش من رؤسائه الجهلاء..وكان أسم الفريق إبراهيم عطا ا فى رأس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم.

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى إدارة المخابرات فى الجيش ومختار فى مجموعته عددا من صولات الإدارة.. وأخذ يعد المنشورات ويطبعها داخل الإدارة، وبآلاتها، ظنا منه أن هذه الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته..

ولكن تقديره لم يكن سليما.. فقد ضبطت المنشورات.. وضبطت قائمة فى داخل إدارة المخابرات تحوى أسماء ثلاثة وعشرين ضابطا..وصولا..

والقى القبض على الجميع، وتقرر حبسهم وتقديمهم إلى المحاكمة.

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث اغتيال أمين سامى.. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش...

وكان متفقا عند تقريره، ألا يبوح القاتل إذا قبض عليه بأى شئ أو أى أسم من أسماء أخواته...

وكان حسين توفيق، هو الذى تقدم فى اللحظة الأخيرة واصر على أن يوكل إليه أمر التنفيذ.. وعندما قبض عليه، ظل مصر على عدم الاعتراف، حتى استطاع كامل القاويش أن يلعب بأعصابه، بقصة مختلفة، أن دلت على شئ فعلى ذكاء القاويش وادرمته الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم..

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل، كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ.. فاراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية، تجعله ينسى عهده للجماعة، ويبوح بكل شئ...

وذهب القاويش إلى إحدى الصحف الكبيرة، وأملى عليها خبرا مؤداه أن التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية.. وجعل فى الخبر تلميحا إلى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جداً على القاتل حسين توفيق...

وفى الصباح دعا القاويش القاتل إلى مكتبه.. واطلعه على هذا الخبر...

وجن جنون حسين توفيق...

لقد قتل أمين عثمان، وفى يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية.. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء.. وأن تلوث أيضا سمعة أسرته، وسمعة أعز النساء عليه..

وانفجر يعترف.. يعترف بالجماعة التى دبرت هذا الحادث، وأسماء أعضائها، وأهدافهم، ومكان اجتماعاتهم، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة.. اعترف بكل شئ...

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق، فالقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهرا، حتى برائنى القضاء.

سياسة جمال

وهكذا...

كانت هذه الفترة نشاط كثير.. نشاط من الأخوان كجماعة منظمة.. ونشاط فى داخل الجيش أو ألوان من النشاط فى داخل الجيش، واتصالات بالفريق عزيز المصرى.. وتدبيرات عنيفة واغتيالات..

وكان لجمال عبد الناصر رأى فى كل هذا...

فيوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الأخوان.. رحب بقيام هذه الصلة.. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة، وتفكيرها الخاص..

ويوم وقع حادث الفريق إبراهيم عطا ا قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف، فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة إيقافهم...

وحدث أن علمت إدارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط، ومنع القيام بآيه معاونة لهم.. ولكن جمال وأصدقاءه رفضوا هذه الأوامر،وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين...

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال، أن هذا الموقف من جمال معناه رضاءه عن العمل معها.. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه.. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة، لأنها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة .. وعدم التقدير لحقيقة العمل، الذى يريدون عمله..

أما لماذا قام بمعاونتهم.. فقد قام بذلك، لانه رأى إشعار الرؤساء فى الجيش، بأن هذا الرأى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى.. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع!

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال أمين عثمان، ظلت المجموعة على صلة بى، حتى أعدت خطة لتهريبى من السجن..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة..

وكان أهم هذه التقاليد، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها، عاملة بإرادتها، محددة لخطواتها...

وفى كلمتين اثنتين..

ألا تكون آلة، ولا أداة فى أى يد

أما وسائلها.. فقد تطورت...

تطورت من صداقة تجمع الضباط، إلى تشكيل له نظام وأدوات...

وتطورات من السرية.. آلى العلنية إلى السرية مرة أخرى.. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها وأسبابها وغاياتها الوقتية المحددة أيضا...

وظلت الجماعة تسير.. خطوة خطوة.. نحو أعداد كبير...

القواعد التى قامت عليها حركة الأحرار

- العمل الجماعى وحده هو الطريق إلى النجاح
- النقراشى يهاجم الإنجليز ويضرب الشعب!
- أهداف.. وهدف...
- الأخوان المسلمين يهادنون صدقى..
- لابد من قيادة..
- مصابيح فى الطريق...

أن السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة، راجع إلى الروح التى سادت فى التمهيد لها..

فقد يجتمع الناس حول مبادئ، حول نظريات يقرءونها، ويعتنقونها، أو أفكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادى والنظريات، والأفكار غايته، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته، وما بعد الذروة أيضا أن صح هذا القول...

ولكن هذه المبادئ، والنظريات، قد تتعرض للجدل، فتتعرض الجماعة للانقسام..وقد يتفاقم الجدل، فينحرف عن الآراء إلى أصحابها ، وتبرز الأشخاص، وتختفى الآراء.. وتتلاعب أهواء النفوس.. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه..!

حدث هذا كثيرا.. حدق فى مصر، وحدث فى غير مصر.. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور، لان مجادلات قامت بين قادتها، أورثتهم التفكك والتحزب، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس وأهوائها...

ولست أكتب هذا غضا من قيمة المبادئ والنظريات فما استحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من أجله. ولكننى فقط أرى أن المبادئ وحدها لا تكفى، لان الرباط الذى يربط العقول، لا يستطيع دائما أن يربط القلوب، أن يذيب الهوى، ويقتل الأطماع...

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة، وعدم انكشاف أمر مدبريها والممهدين لها.. إلى شئ أهم كثيرا من المبادئ التى قامت عليها، وقامت من أجلها.. إلى الصداقة العزيزة الوثيقة، التى ربطت بين كل من شارك فيها، صغيرا كان أم كبيرا...

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة على الألف ضابط، فلا يوجد بينهم خائن، ولا وجل ولا ثرثار؟!..

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة، أن تقوم الثورة فعلا، وتنجح، فلا يعرف من الأحرار آلا هذا العدد الضئيل، الذى ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير؟!..

أنها الصداقة فقط.ز الصداقة التى استطاعت أن تحوط مبادئ الثورة بسياجها المتين، وأن تحمى النفوس من نزواتها.. لأنها احتلت من كل قلب منزل الأطماع..

وبهذا الدستور.. دستور الصداقة... بدأ التكوين الفعلى للأحرار فى عام 1944...

اجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الأصدقاء. جماعة صغيرة عرف بعضها بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة.. وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية...

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك.. ومنهم من لا يزال بنصيبه من العمل فى وحدته أو سلاحه أو الإدارة التى ينتمى إليها..

كان منهم مثلا، جمال عبد الناصر...

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية.. وكان منهم عثمان نورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين.. وكان منهم حسين حموده... وعبد المنعم عبد الرؤوف...

وكان معهم آخرون أيضا.. فليست أذكر الأسماء هنا على سبيل الحصر.. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين، وكانوا يجتمعون أحيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية.. كما كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى..وأحيانا، كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديد... وأحيانا فى بيت حين حموده بمنشية البكرى.

رأى عام

أصدقاء متفاهمون.. يريدون أن يعلموا شيئا..

ويستعرض هؤلاء الأصدقاء حالة البلاد.. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها..

يستعرضون حالة الجيش، فإذا هى حالة أليمة غير مشجعة.. فلم يكن لضباط الجيش إذ ذاك رأى عام. ولو فرض أن كل ضباط صغير كان إذ ذاك ساخطا فى نفسه..فإن هذا السخط لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة عملية. ما لم يصبح سخطا عاما. محدد الأسباب، دافعا إلى التكتل والعمل..

فالمشكلة الأولى إذن، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة، ما سبق من أحداث خلال الفترة الأولى من أيام الحرب.. فقد كنا إذ ذاك نعمل.. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على أنفسنا، لا على رأى عام موحد بين الضباط.. ولذلك كانت أعمالنا فردية، أو شبه فردية.. وقد تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى.. وأن العمل يجب أن يكون عملا جماعيا ما يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط...

الجيش والشعب

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها.ز هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب، و تسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد...

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله.. عبء الثورة بعد الثورة.. عبء التضحيات الجسمية والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والإنجليزية أيضا..

وكان الجيش.. الجيش المصرى.. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب.. أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه.. ولم يحدث أبدا أن حاول الجيش إزالة هذه الفرقة بينه وبي الشعب، لا لأن ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك، ولكن لانهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع.. أى أنهم كانوا تستسلمين للأمر الواقع المتعارف عليه..

وكانت هذه المجموعة نرى أن الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل لتبعات والتضحيات ينبغى أن يطمئن إلى جانب جيشه.. وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه.. وعلى الأقل: أن يدرك أن هذا الجيش، أن لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعة، فلن يكون عليه بحكم بصريته...

أهداف...وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى...

خطة لها أهداف صغيرة بعضها بعضا.. ولها هدف كبير غاية ـ يجب أن تصل إليها مهما بعدت الشقة وطال المدى..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الأيام، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى:

- خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش.
- أشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين لا تقل مسئولية أفراد الشعب العادين.
- التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن وجيههم إلى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية إنقاذ البلاد، أو أن يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة، بحيث لا يشترك إلى تسديد الضربات إلى الشعب إذا تقدم أحد لحمل تبعة الإنقاذ...

أما الهدف البعيد من كل هذه فهو الوصول بأى صورة من الصور إلى تغير النظام الملكى القائم فى البلاد.

لا سرية..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير إلى هذه الأهداف وفق نظام معين أيضا تم الاتفاق عليه..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبد السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة مراحل الدعوة...

فإن السرية توحى بالتآمر، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الأنصار بسهولة، لان عامل الخوف والحذر قد تغلب فى آخر الأمر.

فلتكن العلنية أذن هى الوسيلة.. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها، واختيار الأشخاص الذين يبدو إخلاصهم وقدرتهم على العمل دون أثاره لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة..

وكانت هذه هى الخطوة الأولى.. فقد أثبتت هذه المجموعة بين جماعات الأصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. الداخلية والخارجية...

وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين.. وتملا حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة أكثر.. فقد كانت حياة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى تقوم بها، ومشاكله الفردية الجدية أو العابثة على حد سواء...

وانتشرت هذه الاجتماعات المفكرة.. أو انتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة..

لابد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا..

فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا، وهناك.. وبدأت ترى الضباط يلتقون، فإذا هم متفقون فى السخط، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل إنقاذه...

ومعنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون.. وأن عقبة كبيرة من عقبات الطريق، قد أخذت تزول..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه.. فقد كان واضحا أن هذا السخط عندما ينمو، يمكن أن يكون خطرا كبيرا، إذا لم يصحبه توجيه سديد..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء.. وإذا بالساخطين ينفجرون فرادى.. أو ينفجرون دون وعى، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها.

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات، إذا تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش، أن تحاول ضمهم إليها بصورة أو بأخرى.. وعندئذ تلفت من الجيش قيادته، إلى أيد قد لا تحسن التوجيه..

وعادت المجموعة تتفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح:

- العمل على الا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى، ودون خطة حكيمة مرسومة..
- والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد، أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش فإن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطوة، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس...

تجمعات

وكان لابد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه مجموعة بنفسها..

ويوما بعد يوم.. وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا، وفى نطاق واسع، وعلى أساس الصداقة أيضا...

وعن طريق هاتين الحركتين، بثت الأفكار، وحذر الضباط من التأثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش...

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط.. وأصبحنا جزءا لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة وأطمأنت المجموعة إلى أن الجيش لن يقوم بأى عمل أخرق أو أحمق وأن الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى.. وأنهم لن يعملوا الاجبهة واحدة منظمة..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش، ولا نسبة كبيرة منهم..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد.. والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى أى شىء

وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية، لم يكن من الشعب تحديدها== خطرها..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية.والمناقشات المخلصة، والوعى الذى بدأ ينمو. تكونت الصداقة القوية بين الضباط.. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ.. وظلت سياجها حتى اليوم..

ومثلما كان من المستحيل الوصول إلى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره. فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالإحداث الجارية فى البلاد.ز ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه. منذ البدء..هو الا يؤدى هذا التأثر فى أى عمل فردى. قد ظل سائدا طول الوقت.. وكان تأثر الضباط بالإحداث. عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد، ولتحديد دورهم تحديد واضحا وضوح الشمس..

الأخوان وصدقى

ففى فبراير 1946 ـ مثلا ـ وقعت حوادث الجامعة المشهورة فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية. وحقدهم على السلطة الحاكمة المستعمرين...

وفى خلال الأيام التى تلت هذه الحركة، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الأخوان المسلمين.. فأيدت هذه المهادنة دعوتنا إلى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش. إذا وضح فى أثنائها التناقص بين ضباط الجيش الذين كانوا ـ كأفراد ـ على صلة الأخوان المسلمين، وبين الأخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب.

.. ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشى إلى مجلس الأمن === طريقة التى هاجم بها الإنجليز هناك بإعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا.. وفى الوقت نفسه، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما رسل برقيته المشهورة إلى سكرتير الأمم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى لا يمثل شعب مصر.. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الإنجليز.

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى. فقد كان شعور الإعجاب بالنقراشى فى موقفه، المقابلة شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الأمن، وأعماله التى تبعت ذلك بمنع الحركة الشعبية بالحديد والنار، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال.. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن..

مصابيح فى الطريق

هذه الإحداث بالذات..

حادث الكبارى، وحادث المهانة بين الأخوان وبين صدقى، وحادث برقية النحاس، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى... قد كان يمكن أن تؤدى جميعا، أو أن يؤدى أى حادث منها إلى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى، أو تنظيم سليم..

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم، جعل من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد، وبالدور الذى يجب أن يقوموا به..

ومع الأيام التى تمر.. بدأت المرحلة الثانية، مرحلة التنظيم والتكوين.. بعد أن اطمأنت المجموعة إلى المرحلة الأولى.. مرحلة إشاعة الوعى، وتكوين الصداقات..

التفكير فى تكوين تشكيل سرى داخل الجيش

- كيف أبيح للضباط التطوع فى حرب فلسطين؟
- حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار..
- تزوير قسائم العهده.. والحرب بالبنادق فقط
- الأخوان والمفتى والجامعة العربية..

- خطابات وحماس..
- مساعدة فى الطريق..

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم خلال الإحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى 1946 ـ 1947.

فقد ازدادت جماعات الساخطين بصورة ملحوظة وانتفت السلبية انتفاء يكاد يكون كاملا.. وأدرك الضباط أدركا كاملا أنهم على وشك أن يخوضوا معركة من أجل الخلاص.. خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه..

وشعر الحكام.. الملك الطاغية، والقواد" العظام" والسياسيون، بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف الضباط. وخيل إليهم أن" المصل الواقى" من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة، وأنهم إذا استطاعوا أن يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم أن يعيدوهم إلى السلبية المطلقة التى كانت قد أصبحت عن تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا..

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه، ليستطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب، وتسخيره فى الوقت المناسب لإلهاب ظهره..

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة.. كوسيلة لارضائهم من جانب ولا يقاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الآخر..

ولكن حسابهم كان مليئا بالأخطاء الجسيمة.. والخطأ الأول والأكبر فيه، هو أن الروح الوطنية عندما تستيقظ، يصعب تخديرها.. وأن الإغداق المعتقل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل إشاعة السخط لا أشاع الرضى..

وفى الوقت نفسه، كانت الأحداث تتلاحق.. وكانت أحداثا جسيمة الغطاء عن كل شىء، وبدأت تجرف الضباط جرفا.. نحو المعركة..

تحول إلى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين، تضم كل منها خمسين ضابطا على وجه التقريب.

وكانت الأسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات. والصداقة القوية تربط بين أفرادها، من مختلف الأسلحة، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت..

ورأت المجموعة أن تبدأ تنظيمها بداية تدريجية.. فلا تناقل من الاجتماعات العلنية إلى العمل السرى دفعة واحدة.. وأنما تتدرج إلى ذلك، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقائه..

فقد كان رأى المجموعة قد أستقر فعلا على تكوين جهاز سرى فى داخل الجيش يناط به الأعداد للعمل الكبير، والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة، مطمئنا إلى تأييد

الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة، بعد أن اشتعلت فى قلوبهم شرارة السخط، وأنما الوعى الشعبى فيهم، كأفراد وكجماعات...

وكان اختيار أعضاء هذا الجهاز السرى، يحتاج إلى دقة، ووقت غير قصير.. خصوصا وأنه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة، أن تركن إلى أساليب الاختبارات المفتعلة التى تركن إليها الجماعات السرية على اختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه.. وأنما الاعتماد ـ فقط ـ على الإخلاص الواعى المقترن بالصداقة الكاملة.. وبدأ التدرج إلى الهبوط ـ تحت الأرض ـ والإيذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى ر يشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية، أو عمليات فصل بين الجهاز السرى وبين جموعهم الساخطة.

اشتراكات.. ومنشورات

وكانت الخطوة الأولى فيه، هى اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا...

وفهم الضباط من هذا الاقتراح أن هناك اتجاها إلى عمل.. فعند مناقشة الاقتراح، وتعليل أسبابه.. ذكر احتمال اللجوء إلى طبع منشورات.. واحتمال إيقاع الحكومة لونا من الأذى ببعض الضباط، وأنه يجب أن يكون لدى" الضباط" لا لدى" المجموعة" قدر من المال ينفق منه على المنشورات، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن أن يصيبهم الأذى من جراء هذه الأعمال، واعالة أسرهم إذا أصابهم شر..

وفى الوقت المناسب.. نوقشت جبهة الأعداء.. وحددت تحديدا واضحا، بأنها مكونة من الاستعمار.. والملك.. والأحزاب السياسية جميعا..

وأدرك كل ضابط أنه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجبهة...فسهل بعد ذلك إنشاء التنظيم السرى، فى مأمن من الفضول، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد أنه واحد من التنظيم السرى، ولا يفكر فى اكتشاف أمر، يعتبر اكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها.. وعلى المشتركين فيها، وعلى البلاد..

فلسطين..

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء فى التشكيل السرى. جاء الأحداث، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط إلى ناحية أخرى.لم تلبث أن كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة.

فقد أقبل عام 1948.. واقبلت معه أحداث فلسطين. أو بصوره عامة.. حرب فلسطين...

والقراء يذكرون كيف التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح.. وكيف قرر الشباب العربى فى مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة، دفاعا عن العروبة فى أعز ديارها..

وفى الأيام الأولى لهذه الأحداث، لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة.. ولكن الحكومة كانت فى موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب، من خوض هذه الحرب كمتطوعين..

وكانت أكثر الجماعات فى تلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال، هى جماعة الأخوان المسلمين..

وكانت المجموعة ترى من واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة.

الأخوان.. والمفتى.. والجامعة العربية

وبدأت فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الأخوان.. صلات بين ضباط المجموعة، وبين قيادة الجماعة..

فقد عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا، ضمت جمال عبد الناصر، وكان إذ ذاك فى كلية أركان الحرب، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية، وبعض الضباط المنتمين للأخوان..

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين.. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة، وتدريبهم وأعدادها أعداد كاملا بكل ما تحتاج إليه من خبرة ومن سلاح، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة..

وكان الأخوان يقولون أنهم مستعدون إلى أقصى الحدود، أنهم لا ينقصهم شىء سوى السماح لهم بالسفر إلى ميدان المعركة..

وكان المفتى والجامعة العربية على جانبه، ويكونان تشكيلات من المتطوعين، وقد أعلنت الجامعة أنها على استعداد لتسليحهم والأنفاق عليهم..

الاستيداع أو الاستقالة

وبقى دور الضباط.. فقد كان الضباط لا يستطيعون الاشتراك فى الحرب الا إذا أعلنت الحرب من الدولة أعلانا رسميا، واشترك الجيش فيها، ولم يكن قد تقرر بعد أعلان الحرب..

ولذاك فكر الضباط فى الخروج من الجيش، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين..

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة، ومن عدد كبير من الضباط الآخرين.. وكانوا يكتبون فى طلباتهم، أنهم مستعدون لتقديم استقالاتهم، أو طلبات الإحالة إلى الاستيداع ـ على أن تتركهم الحكومة يذهبون إلى الميدان بأسلحتهم..

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم..

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا.. وشعرت الحكومة بأنها لابد أن تعمل عملا.. واقتربت اللحظات الحاسمة، مع ازدياد فظائع اليهود يوما ما يوم..

قبول التطوع

وفكرت الحكومة فى أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين إلى فلسطين، ليقوموا ببعض الأعمال الاستكشافية.. ووجدت أن خير وسيلة لذلك، هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من أباحه إحالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالاتهم. وتركهم للذهاب إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين..

وفؤجى الضباط بإشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدى(باشا)رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت..

ولبى الضباط الإشارة، وفى مكتب رئيس أركان الحرب، وجدوا الفقيد أحمد عبد العزيز.. وأخبرهم الفريق عثمان المهدى، أن طلباتهم قد قبلت. وأنهم يستطيعون أعداد أنفسهم للتطوع للقتال..

4 قطاعات

كانت الجامعة العربية إذ ذاك بدأت تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع فتى فلسطين، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان، على أن تخضع القيادات الأربع للجنة العسكرية التى تجعل مقرها دمشق,، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب.

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل.

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل.. فقد كان الفريق إبراهيم عطا ا قد أخرجه من الجيش.. فأقام الضباط له حفلة تكرين فى نادى الضباط. لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لإبراهيم عطا ا .

وكان مع اللواء سبل، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى، وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى.. ولكنه لم يمكث هناك طويلا، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته.. ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان.

استعداد

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر..بدون أنفسهم بالسلاح، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت أمرتهم فلما عين المرحوم أحمد عبد العزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين، ذهبت المجموعة معه إلى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبل لتحصل عليه على معلومات عن الجبهة.

وكان مؤسفا، أنها لم تستطيع الحصول على آيه معلومات ذات قيمة عسكرية..

ومضى الضباط يواصلون استعداداتهم..

وكان اقسى ما يواجههم هى عمليات الاستعداد.. فللأسف الشديد كانت ظروف الأعداد قاسية موئسة لأى ضابط، مثبطة للهم، قاتلة للأرواح..

بنادق فقط!

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا إلى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق!

وكان الضباط يحاولون إقناع المسئولين بان البنادق وحدها لا تكفى أن السفر بغير مدافع، يعتبر انتحار، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون منها من أرواحهم.. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم..

وبدأت الأيام تمر، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس، حتى قد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع، ورجعوا إلى خدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم..

وأى ضابط يسمح لنفسه أن يذهب إلى القتال.. ومعه بندقية: وليس مع جنوده سوى البنادق.. والميدان ميدان حرب حديثة لم يكن أحد يشك فى أنها حرب ضد عدو مجهز بأحداث وسائل القتال..

وأخيرا.. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع.. وكان هذا انتصارا عظيما، فرح الضباط به والجنود!

خطابات...

وجاءت ليلة السفر.. وفى ليلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوداث التى لا تنسى...

فى ذلك اليوم: يوم السفر.. أعتذر عبد المنعم عبد الرؤوف الذهاب إلى الميدان..وكان متطوعا، ولا يدرى أحد لماذا تردد، كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس.

ولم يكد نبا اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى ليحسن محله فى التشكيلات المسافرة.

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبد المنعم عبد الرؤوف، دب الذعر فى نفس أحد الضباط، فاعتذر بدوره أيضا، وإذا بالمرحوم اليوزباشى أنور الصيحى يتقدم لكى يحل محله، وكأنما كان بسعى إلى قدره.. استشهد أنور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله إلى أرض فلسطين.

وفى مساء ذاك اليوم جمع أحمد عبد العزيز جميع المتطوعين، وخاب فيهم قبل السفر.. وكان من حضر تلك الليلة يذكر خطاب أحمد عبد العزيز.. ويذكر قوله بحماس لهؤلاء المتطوعين، أنكم لا تذهبون لقتال عدو فحسب.. ولكنهم ذاهبون لتكتبوا التاريخ.

وفرغ أحمد عبد العزيز من خطابه.. إذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى، قادمين لوداع المسافرين.ز وخطب حسن البنا، وخطب الشيخ فرغلى. وأشتد الحماس وبلغ أوجه.

المتطوعون

وفى الحقيقة كانت الروح عالية، وكان الحماس شديدا.. وكان الكل هبا لكى يموت أقدس ميتة وأشرفها. ولكن هذا لم يكن يعنى أمام ضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك، أن العمل من أوله إلى آخره، يؤدى إلى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون.

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الأخوان المسلمين، ومن أفراد ==.. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط.. أن مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية، ولا يستطيع أن يفهمها فى أيام معدودة.

وكان الضباط حيارى بين الأخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن عزام قد آتى بهم لأنهم خير المحاربين وأشدهم بأسا وأقواهم شكيمة.

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بإمكان تغلب على جميع المصاعب والعقبات..

ورحلت قافلة المتفرقين..

والذى أفادته حركة الجيش من هذه المرحلة.. رحلة المتطوعين إلى القتال، لا يمكن تقديره بحال من الأحوال.ز فقد كانت هذه الرحلة كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط، يكفى لكى يدفعه إلى الموت فى سبيل تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد، إذا حدث وعاد من الحرب سليما.

كشوف العهدة

بدأت المهازل بما رآه الضباط من قوات الأسلحة المختلفة بخصوص التى كانت لديهم فى أسلحتهم.. فأسوا الأسلحة أعطيت للمسافرين أسوا العربات أعطيت لهم.. وأكثر من ذلك، قام كل صاحب عهدة بجرد جردا خاصا، لكى يحصر الناقص منها، ويكتبه فى كشوف الأسلحة والمعدات المسافرة إلى الميدان...

وهكذا كنت تجد فى كشوف ما لا تجد فى الحقيقة.. بل كانت الكشوف تحوى أضعاف الأسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لان أصحاب" العهد" وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد...

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا، ويسعدونهم فعلا، هم إخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق..

ففى العريش مثلا، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا.. فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء.. وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على إصلاح السيارات وأعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة إلى الميدان...

وكان الضباط يقومون لأخونهم" ا معنا.. فالذهاب إلى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار.."

ومع كل هذا، فقد كانت الروح اقوى، والحماسة أشد من أن يجرفها اليأس..

وسافر المتطوعون، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد، حتى وصلوا إلى رفح.. ثم إلى خان يونس.

وفى خان يونس.. فؤجى الضباط فى اليوم التالى بحضور عبد المنعم عبد الرؤوف.. وهكذا لم يتخاف هذا الضابط الذى كان معروفا بين أخوانه بالحماس.

ولنترك المتطوعين الآن.. فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين، لنتركهم، والحقد على الأوضاع يغلى فى قلوبهم.. ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا إلى فلسطين بعد هذه الرحلة بأسابيع قليلة..

كيف ذهبنا فلسطين وكيف عدنا؟

- القيادة تأمر بإنشاء ركن فاروق فى غزة!
- القاعدة فى القاهرة..
- عبد الهادى يقبض على جمال عبد الناصر.
- أهداف الضباط الأحرار..
- السرية المطلقة...
- نظام الخلايا...

أن قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة.. هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لا ينسى...

ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى أثناء حرب فلسطين.. ولكننى أمسكت.. فما أعرفه أنا عن الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها أعرفه بالسمع، لا بالممارسة والتأثر والانفعال.. وعندما أتذكر ما كنت اسمعه خلال تلك الأيام من مآسى الحرب، وخيانة القيادات، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة، ومتابعى الشخصية إذ كنت إذ ذاك سجينا.. فلم يكفنى حبس حريتى، ولكن كان مقدرا على أيضا أن أحرم من خوض هذه الحرب المقدسة، التى طالما تاقت نفسى لخوضها.

وأيام السجن يمكن أن تكون لها صفحات..

وأيام الحرب، لها بدورها صفحات...

وأن ارتاحت نفسى إلى ذكر صفحات من أيام سجنى فى يوم من الأيام، فلن ترتاح لكتابة شىء عن أيام الحرب التى لم أخضها، والتى خاضها زملاء لى، كانبون...

فالى أن يكتب أخى صالح سالم، قصة حرب فلسطين، ساكتفى هنا بالإشارة إليها، أو الإشارة إلى ما سمعته منها من أخوانى وزملائى ضباط وجنود الجيش المصرى الباسل، فى هذه الحرب المقدسة...

الحـرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنية والعاطفية، لضباط الجيش، ومنهم ضباط مجموعتنا يوم دخولها، والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها..

أما يوم الخروج للحرب.. فيوم ذاكره مجيدة فى نفوس الضباط والجنود جميعا..

لقد أعلنت الحرب.. وسواء علنها فاروق أم أعلنتها حكومة البلاد القائمة ـ حكومة النقراشى فى تلك الوقت ـ سواء أكان إعلانها خطا، أم كان إعلانها صوابا، وسواء أكان

الجيش مستعدا لخوضها، أم لم يكن مستعدا. فالحقيقة الوحيدة هى أن الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله.. لم يفكروا فى الخطا أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر أو احتمال الهزيمة.. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط.. أن حربا أعلنت

صورة

باسم مصر، وأن جيش مصر يجب أن يخوض هذه الحرب، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها، وان يموت رجاله، ضباطه وجنوده، فداء لكل ذرة من ثرى الأرض المقدسة، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة.

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده، وهذا وحده هو ما جعلهم يندفعون اندفاعا إلى ميدان الشرف، دون نظر إلى الحقائق الأساسية التى تهتم بها كل محارب وخاصة إذا ما أشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الأمر ما هو جدير به من الاهتمام..

فالذين سافروا إلى الحرب سافروا مجردين من اقوى سلاحين يسافر بهما المحارب...

المعلومات الحقيقة أو شبه الحقيقة عن العدو..

والاطمئنان إلى حسن استعداد الجيش نفسه.

والذين سافروا إلى حرب فلسطين، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود. ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداداته وحقيقة إمكانياته!

ولكنهم سافروا.. سافروا حماسة.. وسافروا دودا عن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه.. وقد آن أن يلبوا نداءه المقدس رغم كل شىء...

فى أرض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الأسابيع الأولى، من حقائق تثبط أى همة. وتقصم كل ظهر.

فهناك.. فى أرض المعركة، وضع تماما أن كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر.و كل ما يلزم.. من سلاح أو اعتاد أو ذخيرة أو مواصلات..لا وجود لشىء يصلح للحرب أبدا..

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره.. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة.. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الأوامر.. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا إلى أصول الحرب، ولا إلى مقدرة الجيش نفسه..

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا.ز لخيانة هذا الجيش فى معركته الأولى المقدسة. فهؤلاء الإنجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعناد والذخائر.و قد أمسكوا أيديهم مرة واحدة.. ولم يعطوا الجيش شيئا.

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم خيانة جيش مصر بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل المباشر لدى بعض الدول العربية، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر..

وركن فاروق

وهناك فى أرض المعركة، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا إلى غزة ـ ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال ـ وإذا بالأوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة، بإنشاء استراحة لفاروق هناك تسمى" ركن فاروق بغزة"...

هكذا فجعوا فى الحرب من أوائلها..

أما أواخرها فكانت فترة تأمل ويقين..

النتائج.. توحى

وأخرها كانت الفترة التى أدرك فيها ضابط وكل جندى فى جيش مصر.. أن هذه القيادة يجب أن تتغير.. قيادة الجيش وقيادة البلاد...

ما قيادة الجيش، القيادة التى لم يكن لها وجود أبدا.. فلو وجدت أو وجد نوع من القيادة الحقيقة.. لما أمكن أن يهزم جيش مصر أبدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة.

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على أى حال.. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا.. تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد من أساساتها.

قاعدة للعمل

ولعل القارئ لم ينس أن هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الإرهاب.

وفى هذا العهد، عادت القوات المصرية من فلسطين.. وقررت المجموعة أن تبدا العمل فورا، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى إلى تغيير الأوضاع فى البلاد.

وكان لابد للمجموعة أن تتخذ لها قاعدة تعمل منها، أى أن تعمل على أن يستتب بعض رجالها فى مكان معين، وأن تحرص كل الحرص على بقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت.

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى" باشا" رئيس هيئة أركان حرب الجيش حينئذ، لمنزل جمال عبد الناصر.

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى.

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا.. وأنما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر، وتفتيش بيته.

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات.. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما.

أما جمال، فقد أصطحبه عثمان المهدى، إلى" دولة" إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الكبر فى عهد الإرهاب.

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى... فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمة التعاون مع الأخوان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه ـ أى جمال ـ قد قام بتدريب بعض شبان الأخوان على السلاح، أثناء الحرب وقبيل قيامها.

أما جمال... جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا.. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام.

ولعلها كانت مفيدة.. فقد تريث إبراهيم عبد الهادى فى إصدار الأمر باعتقاله.. وارسل رسله يأتونه بأخبار جمال.. ثم أفرج عنه فورا.. لانه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معين بين ضباط الجيش، وأن له كيانا خاصا فى صفوفهم، فخشى أن يعتقله، فتكون القشة التى تقصهم ظهره، وظهر العهد من بعده.

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة.. وبدأنا فى التكوين.ز تكوين القاعدة أولا..

وكانت القاعدة مكونة ـ كما قررنا ـ من جمال وعبد الحكيم وزكريا محيى الذين وصلاح سالم.

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة

فجمال، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشئون الإدارية بالجيش.

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة.

وزكريا عين فى الكلية الحربية.

وصلاح أستقر فى وحدته بالقاهرة.

وفى الأيام التى تلت ذلك، فرغنا من وضع أساس التنظيم كله.

الأهداف والنظام

فأسمينا أنفسنا بالضباط الأحرار.ز الأحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة، والأحرار فى سعيهم إلى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستقلال والفساد، وكذلك الأحرار من الانتماء إلى أى هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف.

ووضعنا أهداف التشكيل وطبعناها.. وتم توزيعها فعلا على الضباط الأساسين فى التشكيل.. وظهر أسم" الضباط الأحرار" لاول مرة...

وكانت أهم الأهداف التى تضمنها هذا المنشور الأول:

- القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة المصرين.
- تكوين جيش وطنى قوى.
- إيجاد حكم نيابى سليم.

وفى نفس الوقت، وضع النظام الأساسى للتشكيل على الوجه التالى:

- السرية المطلقة فى كل شىء.
- تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه.
- الأخذ بنظام الخلايا، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا أسبوعيا وبانتظام.
- تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير أسبوعى إلى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده.
- وجوب ضم أعضاء جدد فى كل أسبوع.
- إصدار المنشورات بصفة منتظمة أسبوعيا.

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة، وخطته المدروسة.. على أساس نظام معين، وأهداف واضحة وخلايا.. وقيادة كاملة.

نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير

- سرنا فى اتجاه الشعب...
- اللواء الذى جعلناه قائد نفسه فقط.
- الضابط الذى حملناه مسئولية طبع المنشورات.
- لقصر وحيدر.
- " التيتل" الذى دفناه فى مكان أمين.
- مجاهد فى سينا.

كنا قد انتهينا من إقرار التنظيم العام للتشكيل السرى داخل الجيش،واخترنا له اسم" الضباط الأحرار" وكنا قد انتهينا من تحديد أهداف هذه التشكيل السرى، عرف بصورة كاملة..ووضعنا قواعد العمل..

ومنذ تلك اللحظة، لم يهدأ لنا بال، ولا للحكومات، ولا للإنجليز ولا للقصر..

ففى أيام قليلة، كانت منشوراتنا قد أصبحت تصدر بانتظام.. وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية والخارجية إزعاجا شديدا.. لان صدورها بتلك الصورة المنظمة، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بأن التشكيل الذى يصدرها، ليس من ذلك الذى اعتاد الجيش أن يفاجأ بظهوره بين فترة واخرى، ليصدر منشورا أو منشورين، ثم يختفى، أو يكتشف أمره.

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الأيام هو أنم يضعوا أيديهم على أى حلقة من حلقات هذا التشكيل، أو يمسكوا بأى خيط يؤدى إلى اكتشاف أمره.. ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة.. فلم نمكن آيه سلطة من السلطات من العثور على شىء.. لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هذه السلطات مجتمعة أو متفرقة أن تنفذ منها ألينا.

وكانت هذه اليقظة، إلى جانب التجارب الكثيرة التى مارسناها منذ الشباب الأول، من أيام منقباد، هى السبب الرئيسى فى نجاح خطتنا نجاحا كاملا.. كما أن ارتباط أهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته، كان من أكبر العوامل المساعدة التى مكنت لنا من هذا النجاح..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير.. ولأننا سرنا فى اتجاه الشعب.. ولأننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة..

جواسيس

وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى، عندما أتصل مصطفى كامل صدقى جمال وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة ـ أى مجموعة مصطفى صدقى ـ إلى تشكيلنا، توحيدا للجهود..

وكان معنى هذا أن تشكيلنا كله قد بات فى خطر.. فإن معلوماتنا عن مصطفى صدقى وجماعته كانت تدل دلالة كبيرة على أنهم يعملون حساب القسر.

وكان لابد أن يقتنع صدقى بأنه ليس هناك أى تشكيل يضمنا، أن جمال عبد الناصر لا يعمل شيئا على الإطلاق..

ولم يكن هذا صعبا على جمال.. فقد استطاع فى لحظات قليلة أن منع مصطفى صدقى بأنه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط، أو كل اتصال نشاط.. وأنه أكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على أن... يأكل عيش...وبس!

واقتنع مصطفى صدقى بهذا الكلام.. ومضى..

وفى الحقيقة كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات.. وكنا نستغله كيفما نشاء.. دون أن يشعر.. فقد كان مولعا بالتباهى والتفاخر يجب أن ينسب إلى نفسه أشياء كثيرة مما حدث، يحيطها بما يعلمه جيدا من ملابسات.. كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر..

الخـلايا...

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل...

كانت خلايا خماسية.. تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة الذى لون من نفسه نواة لخليته.. ثم تتسلسل الخلايا على هذا الوجه، كل ضوء من أعضاء الخلية الأولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعرف أعضاؤها أحدا غيره من أعضاء الخلية الأولى..

وللحقيقة نذكر أننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقات الخلايا.. وأن هذا كان فى حد ذاته سببا من أسباب نجاح التشكيل وضبط جميع أموره ضبطا كاملا..

وكانت واجبات أعضاء الخلايا هى:

1- ضم الموثوق بهم إلى التشكيل.

2- أثاره الموضوعات العامة فى وسط الضباط، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على أى حركة يمكن أن يقوم بها التشكيل فى يوم من الأيام..

وبالطبع كان أعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية، وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى أحمد حمدى عبيد.. وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص..

وكنا نحاول الاستفادة منكل شىء.. من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع: وأحيانا كانت تسنح لنا فرص طيبة، لا تخلو من طرافة، ولكننا كنا دائما نحسن استغلالها.. كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا.. وعندما كانت الظروف تلعب دورها إلى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وأمل ساطع يشع فى قلوبنا.. فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا، هى أننا مرموقون من ا عز وجل...

القصر وحيدر!

وكان أخوف ما نخافه جهتان:

القصر ومخابراته الخاصة..

وقيادة الجيش...

وكنا لذلك قد رتبنا أمورها جيدا، على تطويق الجهتين كلتيهما.. وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر" باشا" لجاب المعلومات منه، واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الأحرار، كلما تعرض لخطر الانكشاف... كنت أنا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر. وعن طريق الدكتور يوسف رشاد...

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما، أن نعرف أولا كل ما يمكن أن يكون قد وصل إلى علم إحدى هاتين الجهتين من معلومات ـ صادقة أو كاذبة عن نشاطها وأن نعرف أيضا أولا بأول كل ما يمكن أن تفكر فيه إحدى هاتين الجهتين من إجراءات خاصة بنا، وأن نضمن أيضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات...

وإلى جانب هذا، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الأوقات...

هو الذى يطبع!

حدث مثلا، أن قبض على الضابط حسن علام أثناء قيامة بكتابة منشور ضد الأوضاع التى كانت قائمة حينذاك..

ولا أحد يدرى أن كان هذا الضابط قد نزى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه.. فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة..

ولكن الحادث وقع على كل حال.. فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الأحرار يكتبونه فى منشوراتهم.. ورفع المر إلى الفريق حيدر باشا.. وإذا به يتهلل ويشرق ويشعر أنه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الأحرار..

وكانت فرصة لنا.. فآنا أتذكراننا لم ندع وسيلة فى تلك الأيام ألا استغثنا بها لاثبات هذه" التهمة"عليه.. وقد ثبتت فعلا، واتجهت أنظار القصر والقيادة وجهة أخرى تماما، فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الأحرار..

ولعلنا أن تكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث، ولموقفنا منه.. ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من أجلها كانت تقتضى منا أن ننتهز هذه الفرصة، وألا ندعها تفلت من أيدينا أبدا...

المعركة.. لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة، أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا..

فقد حدثت أحداث أخرى أثناء معركة القتال، كانت كفيلة بإضعافنا و الكشف عن سرنا الكبير..

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شىء..

وصحيح أنى لست أنوى أن اذكر شيئا من التفاصيل الخاصة بدور الضباط الأحرار فى هذه المعركة، فأن معركة القنال لم تتم فصولا.. ودور الضباط فيها أن كان قد بدأ فى حدود الظروف التى سنحت لهم خلالها.. فهو دور قادم لا شك فيه، ولا نهاية له الا يخرج آخر جندى من شىء ارض القنال...

لن ننشر اليوم إذن شيئا من هذه التفاصيل ولكن هناك مع ذلك ما يمكن نشره.. هناك قصتان.ز لعل إحداهما قد كسبت شهرة معينة إذ جاء ذكرها فى محكمة الثورة أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين، عندما" المتهم" قصة اللغم البحرى..

أما القصة لثانية..أو هى الأولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الأحداث، ولكنها كانت ذات خطر كبير، لولا أننا أحسنا استغلالها..

مجاهد فى سينا!

س ونبدأ بهذه القصة.. وقد وقعت الأيام الأولى للمعركة.. وكنا إذ ذاك فى سينا.. كنت هناك أنا وعبد الحكيم وصلاح.. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا جميع الضباط فى سينا، فقد كان الجميع هنا يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وأنه لا حق لأحد فى منعهم عن القيام به..

ونكاثر الضيق، وغلت الصدور، وأصبحت القوات هناك فى شبه هياج مستمر، ينذر بالخطر..

ووصلت التقارير إلى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد، وكلفته بتهدئة الحالة هناك...

وجاء اللواء يهدئنا!

جاء، فجعل يخطب فينا ويناقشنا، ويحاول أشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد، لا لآن الجيش يجب أن يستعد.. ولكن لان عدونا الحقيقى فى نظر اللواء مجاهد، ومن أرسلوه ـ هو اليهود.. وأن علينا أن نفرغ من أولا ثم بعد ذلك نفكر فى الإنجليز..

وأطال اللواء مجاهد كثيرا فى هذا المعنى، حتى ضاقت الصدور.. وإذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا:

أن عدونا الأساسى هو الإنجليز، هو هذا الاستعمار القائم فى بلادنا.. وأننا يجب علينا أن نطهر أرض الوطن من هذا الاستعمار أولا، وقبل كل شىء..

صورة

ويبدو أن صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط.. وإذا باللواء مجاهد يبدى ضيقة الشديد بهذه الصحية، ثم لا يفتأ أن يبدى رأيه علنا فى صلاح.. وكان هذا الرأى هو أن صلاح سالم.. رجل خطر.

وأحسسنا بالخطر يحدق بنا.. فقد أيقنا أن اللواء مجاهد لابد أن يكتب تقريرا عند عودته إلى القاهرة، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة.. ومن يدرى كيف يمكن أن يؤدى هذا إلى الإيقاع بالتشكيل كله...

وقررنا أن نلغم الأرض للواء مجاهد قبل أن يعود إلى القاهرة، ويقدم تقريره المنتظر..

وفى نفس الليلة اجتمعنا، عبد الحكيم عامر وصلاح وأنا.. فى منزلى الصغير فى رفح.. ثم رأينا أن نكتب خطابا إلى الفريق حيدر باشا، نضمنه شكايتنا من أن اللواء مجاهد قد أثار الضباط أثاره شديدة فى زيارته لهم، وأنه استفزهم يمكن أن يؤدى إلى ما يجب اتقاؤه من شرور..خصوصا وأن لهذا اللواء تاريخا أثناء حرب فلسطين.. وأن هذا التاريخ معروف لسائر الضباط..

وكتبنا الخطاب فعلا، وأرسلناه إلى حيدر..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد إلى القاهرة.. ولكنه لم يكد يحط قدميه فيما حتى كان حيدر" باشا" قد استدعاه إليه وبدأ التحقيق معه فيما ألصقناه به من اتهامات!

وانتهى التحقيق بقرار نقله إلى المنطقة الجنوبية..

وكان اللواء مجاهد إذ ذاك نائبا لرئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير، وهذه الإدارة الضخمة.. وأذا هو ينتقل إلى المنطقة الجنوبية.. حيث لا جنود ولا ضباط.. أى حيث يصبح قائد نفسه.. فقط.. لا غير!!

التيتل أو اللغم

والقصة الثانية من قصص معركة القنال، هى قصة اللغم البحرى التى أشار إليها سراج الدين أثناء محاكمته، ووعدت الجمهورية إذ ذاك بنشرها كاملة..

وقد وقعت هذه القصة فى 25 ديسمبر 1951 أى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد..

وأذكر هذا التاريخ جيدا.. لانه كان يوم ميلادى.. أو عيد ميلادى كما يسمى الناس تاريخ موالدهم..

وكنت ثلاثتنا فى رفح... عبد الحكيم، وصلاح، وأنا.. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية، ينتهزون فرصة المرح انتهازا.. وكان" عيد ميلادى" إحدى هذه الفرص.. ولذلك قرر الضباط أن يحتفلوا بهذه" المناسبة" على حسابى، فى سينما المدينة..

وذهبنا إلى السينما.. وبقى حكيم وصلاح فى الميس وحدهما...

لماذا..؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نرد أن يخلو الميس من ضباط..

ولعل الأمر أكبر من هذا كثيرا.. فقد كان لابد فعلا من أن يوجد ضباط فى الميس، وأن يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات فقد عودنا ا طيلة أيام استعداداتنا لهذه الثورة، أن يكون معنا فى كل شىء..

ودق جرس التيلفون فى الميس، فقام إليه عبد الحكيم.. وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر.. من القاهرة..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة.." التيتل جاى النهاردة فى الطيارة.. أستعد لاستلامه.."

وقطع جمال الخط.. وانتهت المكالمة..

وكانت كلمة " التيتل" من كلمات قاموسنا" الحركى".. وكان معناها" اللغم".

وكنا قد اتفقنا من قبل على أعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القناة قبل مرور باخرة إنجليزية كبيرة.. فننسفها بذلك..

وكان هدفنا من هذه" العملية" هو تعطيل القناة، وتقديم الدليل الكافى للعالم، على أن الإنجليز لا يستطيعون حماية القناة، ما دام المصريون لا يمكنونهم من ذلك.

وجلس عبد الحكيم وصلاح ينتظران" التيتل".. وكانا بالطبع يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه..

وبعد قليل.. أتصل ضابط من العريش بعبد الحكيم.. وقال له بلغتنا" الحركية" استلمت" التيتل" ولكنى لا أعرف كيف أوصله إلى القنطرة، لان إمكانياتى أقل من ذلك كثيرا..

وأجابه عبد الحكيم بقوله:

- **أرسله إلى فى رفح.. وسأتصرف أنا فى الأمر...**

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران" التيتل" مرة أخرى.. وقد علما أنه سيصل إليهما ساعيا على أرض لا هابطا من السماء.!

وبعد قليل، وصل " التيتل"

وصل، فى حراسة ضابط كيماوى، كان هو الذى قام بعداده، وكان أيضا هو المكلف بتركيبه فى القناة...

وكانت الساعة إذ ذاك، الثامنة مساء..

وكان هذا" التيتل" عبارة عن أربعة صناديق كبيرة الحجم ثقيلة الوزن جداً..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على إنزال الصناديق.. وكان جليا أنها لا يمكن أن تدخل من الأبواب، ولا أن تخفى فى إحدى الغرف..

وكان الحل الوحيد، هو أن توضع هذه الصناديق إلى جوار الباب.. ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح إلى السينما ليخرجانى منها، حتى أجاب لهم بعض جنود سلاح الإشارة، ليساعدوا فى عملية نقل هذا" التيتل".. غير المنتظر..

وخرجت من السينما، وتوجهت فورا إلى سلاح الإشارة فأحضرت بعض جنودى المدربين بينما ذهبا هما إلى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين من الأحرار، وعربة لورى كبيرة..

وكانت الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق.. فقد أوشكت السينما أن تنتهى.. وبانتهائها سيحضر الضباط إلى الميس..وينكشف أمر" التيتل" الذى كنا نحرص أشد الحرص على إخفائه..

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى، وأن نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع 350 كيلو مترا..إلى القنطرة.. وأن نعد بعض قطع الساندوتش، للضباط الكيماوى ومرافقيه..

وسار اللورى على بركة ا ..

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الأحرار فى العريش لكى يدعوه يمر.. ثم بزملائنا فى القنطرة، لكى يتسلموه..

ولم نكد نفرغ من كل هذا، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس..

كانت السينما قد انتهت.. وكان الضباط عائدين..

ولعل قصة" التيتل" هى إحدى القصص التى لم تنته من قصص معركة القنال...

فالذى نستطيع اليوم أن نضيفه إلى ما ذكرت هو أن القنطرة قد استلمت" التيتل" وأن الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا.. ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنا بتنفيذ خطتنا.. فقررنا دفنه... دفنه فى مكان أمين.. حتى يحين الحين..

حددنا موعد الحركة سنة 1950

- قلنا لسراج الدين" حافظ على الدستور ونحن نحميك"
- فؤاد سراج الدين يقول" أن شعب مصر لا يهتم بالدستور"
- تم الانتخاب فى منزلى كمال الدين حسين..
- الاتصال برجال الوفد.. جريمة...
- ماذا قال مدير البوليس الحربى؟
- سراج الدين يقول" أحنا خايفين من الجيش"

أن كنا لا نريد أن نكشف اليوم أستار عن دور الأحرار كله، والخط الذي رسموه لانفسهم وكفاحهم أبان معركة القنال.. فلأننا ـ كما ذكرت فى الصفحة الماضية من هذه الصفحات ـ لا نعتبر معركة القنال معركة منتهية، بل نعتبر ما مضى منها مجرد تمهيد يسبق الفصل الأول من فصولها التى يجب ـ فى تقديرنا ـ أن تكون رهيبة تعلم الغاصب كيف يحسب ألف حساب لكفاح الشعوب..

ولكن دور الأحرار الذى بدأ إذ ذاك كان قد بدأ ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الأثناء بفترة كمل فيها استعدادنا، وأصبحنا قادرين فعلا على تحرك مكن وحداتنا، لنضرب الضربة التى تظهر البلاد من راس الفساد فيها.. الملك، والإقطاع. وما يتفرع عنهما من أحزاب وسياسات قادتها طويلا. إلى الخراب..

فالسنوات التى مرت بنا بعد اكتمال تنظيميا، وهى سنوات 1952،1951،1950. قد كانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف، وتحديد موعد البدء.. وفى نهاية هذه السنوات أو قرب نهايتها، وقعت معركة القنال، وأدركنا أن دورنا الكبير قد حان وقته..

أنها فترة مترابطة إذن.. سنمر اليوم مرورا ببعض أحداثها، لنعود إلى ذلك مرة أخرى.

ففى عام 1950 كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلى.. للخلايا، والمخابرات، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط.

كان كل شئ يجرى على ما يرام.. وكنا نفكر دائما فى الزمن الذى يجب أن نقضيه فى الاستعداد والتهيؤ للمعركة.. وكن ـ ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة ـ نقدر قوة العدو بحدها الأقصى، ونقدر قوتنا بحدها الأدنى، ونعتقد أننا لن نكون على يقين من أن الحد الأدنى لقوتنا، قد ـصبح أقوى فى كل شئ مما يمون أن يكون عليه الحد الأقصى لقوة العدو...

والعدو، كان بالطبع، فاروق وجهازه الرهيب. مع وضع الاستعمار وما يمكن أن تقدم من مساعدة فى الحساب..

وكنا فى بدء عام 1950 قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات، أى أننا حددنا موعدا للحركة عام 1945 أو 1955.

ولكن الظروف السياسية التى لابست الأشهر الأولى من عهد الوفد، قد جعلتنا نعيد التفكير مرة أخرى، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة أعوام بدلا من خمسة أعوام.

فقد كانت سياسة المهادنة التى فاجأ بها الوفد البلاد فى أول شهور حكمه تستدعى هذا التقريب لموعد الحركة.

إذ كانت هذه السياسة وحدها، هى النذير الأكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الانفجار..

فقبل عهد الوفد الأخير. كان الشعب يرى أمله فى حزب الوفد رغم مساوئه.. وحتى نحن كنا نعتقد أن حرب الوفد رغم كل هذه المساوئ المعروفة للجميع، هو الحزب الذى نستطيع أن نركن إليه يوم تقوم بضربتنا الكبيرة، لنسلمه زمام البلاد. على أسس واضحة من التظهير والعمل الخاص للوطن.

كنا نعتقد هذا، بل لقد خطونا فى هذا السبيل خطوات سيأتى تفصيلها..

وكنا رغم كل هذه، مضطرين إلى أن نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهى أن حزب الوفد إذ يجئ بهذه الأغلبية الساحقة فى عام 1950 ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية. قد صدم الشعب فى أمله الوحيد الباقى، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع الشعب أن يتنفس فيه الا، أن ينفجر فيطيح بكل شئ.

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبى، وعواقبه ونريد أن نكون ميزانيا حساسا لانفعالات الشعب، حتى لا يأتى انفجاره دون توقع منا، فيتعرض == رهيبة بينه وبين القوة الغاشمة قد لا تكون سليمة العواقب.

وفى الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل فى نفوس ضباطنا، وأن يعطى التراجى فرصة للقضاء على قوتنا، بعوامل التشتيت المقصورة أو غير المقصورة على حد سواء..

لذلك قربنا الموعد الذى حددناه للحركة، وجعلناه عام 1952 أو 1953 بدلا من 1954 أو 1955.

انتخاب جمال

وكنا فى ذلك الوقت فى القاهرة، نحن جميعا وكنت أنا أعيش كالحبيس فى دائرة ضيقة، لم يسمح لى الأخوان بالتحرك فى أى دائرة أوسع منها بحال من الأحوال، فقد كان تاريخى السابق، تاريخى الذى لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن فى آخر مرة، يجعل أى حركة أقوم بها مثار وشكوك.

ومر عام 1950، وأقبل عام 1951.. وفى هذا العام نقل بعضنا إلى سينا.. نقل صلاح وعبد الحكيم وأنا.. إلى سينا، ونقل جمال سالم إلى العريش...

أما باقى مجموعتنا.. فقد ظلوا فى القاهرة.

وكان هذا النقل.. وتشتيتنا فى ثلاث جهات مدعاة إلى اتخاذ أجراء لابد منه، لم نكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام..

كان لابد أن يكون لنا رئيس مسئول، يقوم بتنسيق أعمالنا وإصدار الأوامر والتصرف الوقتى فيما يجد من مشكلات..

وعقدنا اجتماعا لبحث الأمر، ثم انتخبنا بالإجماع رئيسا لنا.. جمال عبد الناصر..

وبدأ بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة، أن تحدد موعدا للاجتماع فى كل عام لانتخاب الرئيس...

وفعلا، تم ذلك أيضا فى يناير 1952.. إذ اجتمعنا فى منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة سنة أخرى من ذلك التاريخ..

واختيار الرئيس

على أن هذا الاجتماع، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه، واتفقنا على إبقائه سرا بيننا.

وكان هذا القرار هو اختيار اللواء أركان الحرب محمد نجيب لكى يكون قائدا لحركتنا فى يوم تنفيذها.

وكان سبب اتخاذ هذا القرار.. هو أننا لابد أن نضع فى حسابنا شخص القائد الذى نتقدم خلفه إلى الشعب، لكى نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافى فى صفوف الجيش.

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم عامر، إذ كان عبد الحكيم أركان حربه أيام معركة فلسطين. كما كان عبد الحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشى جمال عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجة..

ورغم اتخاذ هذا القرار، فيم نشأ فى نفسه == لان الوقت يم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه الخطوة.

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعا آخر.. فقد كنا هنا نشعر فى ذلك الوقت أن موعد الحركة قد يكون أقرب بكثير مما نتصور، ومما نقدر..

تقدير الموقف

وفى هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء فى أتحاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت.. وأن تكون المهلة التى تعطى لضباطنا قبل البدء سهرا على أكثر تقدير.

ووافق المجلس على ذلك..

وفى نفس الاجتماع كاف المجلس عبد الحكيم عامر، بعمل تقرير موقف" للحالة من جميع == الشعبية والسياسية العسكرية وان يقوم بعرض التقرير على المجلس ==

كنا جميعا نشعر برضة الأحداث===

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم.. فقد كان مسبوقا بجولة قام بها جمال وعب الحكيم فى داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لاول مرة، ومعرفة حقيقة القوة التى نستطيع الاعتماد عليها..

وبالطبع كان هذا الاجتماع، قبل حريق القاهرة.. ولم يكن أحد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشئوم.

الاتصال بالوفد

ولنترك الآن التفاصيل العسكرية، لنلم بما قمنا به إلى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسى، والتهيئة لاوضاع ما بعد الثورة من الناحية السياسية، والناحية الشعبية.

الوفد...

الوفد الذى كان يحكم.. والذى هادن الملك فى أول عهده، ثم اضطرته الظروف واضطرته نفس القاعدة الشعبية التى لم يكن يستطيع أن يغفل حسابها إلى إلغاء المعاهدة، وبدء الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار فى القنال..

هذا الحزب، كان أملا من آمالنا رغم كل شئ وكنا نريد أن نقويه فى موقفه، وا، نجعل منه الشرارة التى تطلق قذيفتنا.

وقررنا أن نتصل بالوفد، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به إلى جمال عبد الناصر..

ولن أسبق هنا الحوادث، ولكنى سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشى جمال القاضى. وطلب منه أن يتصل بعهم" عبد اللطيف محمود باشا" الوزير الوفدى إذ ذاك، وللتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يجب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكري فى سبيل إيقاف الملك عند حده، ومنع اعتداءاته على الدستور.

جريمة كبرى

وكان السر فى اختيار جمال القاضى، هو هذه القرابة الوثيقة بينه وبين عبد اللطيف محمود، فقد كان اتصال أى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ، يعتبر فى نظر قادة الجيش، ورجال القصر، جريمة تستوجب الحساب والعقاب..

ولذلك كان علينا أن عليما هذه الاتصالات باللجوء إلى صلات القربى، التى لا تثير الريب والشكوك..

وذهب جمال القاضى إلى عمه.. ثم عاد يقول أن عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع أن يتكلم شخصيا فى هذا الأمر، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمال القاضى إلى رجل الوفد المسئول، فؤاد سراج الدين، ليتم التفاهم بينهما مباشرة..

وفكر جمال عبد الناصر فى الأمر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن أن يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين، ثم استقر على أن يكاف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لأنه أيضا تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين.

تخاذل...

وتقابل جمال مع رشاد مهنا، وطلب منه أن يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه، وابلاغه أن الجيش اليوم لم يعد مستعدا للوقوف إلى جوار الملك ضد أى أجراء شعبى تتخذه حكومة الوفد،ويؤدى إلى محاولة الملك البطش بها أو أقالتها..

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا.

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية أقبل. وإذا برشاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين، بدعوى أنه قد جد ما يشغله فى قريته، وأنه مسافر إليها فى اليوم نفسه..

وللتسجيل والتاريخ، أذكر هنا أن هذا الموقف من رشاد مهنا، قد أثر كثيرا فى نفسية جمال، فقد كان أول تخاذل يراه من رجل يحاول أن يعتمد عليه فى شئ.

واندفاع..

وبلغ هذا النبأ إلى البكباشى أحمد أنور، مدير البوليس الحربى الآن فمضى بنفسه إلى البكباشى جمال عبد الناصر، وأبدى استعداده للقيام بهذا الاتصال، وقال أنه غير معروف بنشاط معين، وأنه مستعد للتضحية حتى أن كانت هناك تضحية، وأن اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدى ـ على كل حال ـ إلى أى عواقب تصيب تشكيل الضباط الأحرار.

وكلفه جمال بهذه المهمة، وأن كان قد أبدى له شكه فى أنم يستجيب سراج الدين، وإحساسه بأن سراج الدين سيحاول استدراجه دون أن يبوح له بشئ.. ثم أوصاه إذا أراد سراج الدين أن يصل معه إلى أى قرار، بأن يفهمه أن له أخوانا وقيادة لابد أن يرجع إليها قبل التصريح بأى شئ..

وتمت المقابلة

وسأترك الآن البكباشى أحمد أنور يروى تفاصيل هذه المقابلة...

قال أحمد أنور...

لبت مقابلة سراج الدين، واتفقنا على موعد المقابلة.ز الساعة الخامسة والنصف، فى بيته بجاردن سيتى..

وأرسل إلى فؤاد الدين الأستاذ فاروق القاضى المحرر بالجمهورية، وكان إذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلمانى لفؤاد سراج الدين، بصفته وزيرا للمالية، أرسله إلى ليقابلنى فى ميدان الإسماعيلية، ويأخذنى إلى داره.. وكان معى شقيقه جمال القاضى أركام حرب البوليس الحربى الحالى الذى جاء يصحبنى ليعرفنى بشقيقه..

والتقيت بفاروق القاضى، ثم بفاروق يقودنا إلى الباب الخلفى للدار حسب التعليمات التى كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين.

وجلسنا فى أحد الصالونات الكبيرة.. ثم أقبل علينا فؤاد" باشا" وأمر الخدم بإغلاق الأبواب وعدم السماح لاى أحد بالدخول..

وجلس...

كنا أربعة...

فؤاد سراج الدين وجمال القاضى، وفاروق القاضى.. وأنا ..

وانتظرت فى تحرز شديد وتحرج، أن ينسحب فاروق، ويدعنا وحدنا فى هذه المقابلة البالغة الخطورة والأهمية... ولكن فؤاد" باشا" لمح منى هذا التحرج والتحرز.. فابتسم لى مشجعا.. قال لى: تكلم.. فليس فاروق غريبا..

وبدأت أتكلم...

باطنا والريح

قلت له:

- **لقد جاوز الملك كل حد، وخصوصا بتعيينه حافظ عفيفى رئيساً لديوانه..فلماذا لا تتخذون موقفا حازما تجاه هذا التحدى الصريح من الملك..**

وابتسم فؤاد سراج الدين... وقال فى بساطة خبيثة..

- **أحنا طبعا.. خايفين**..

من آيه؟

- **من الجيش .. هى ده عايزة تفسير؟**

ثم استطرد:

- **أحنا ناس" باطنا والريح".. وأحنا صحيح كنا بنحيله لغاية ما نقدر نلغى المعاهدة. أنما دلوقت إذا انزنقنا.. فمفيش مفر.. هانخرج.. ونقول للشعب كل حاجة.**

وثار جمال القاضى، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال. وقال:

- **ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو" باشا" مستشارا له، رغم سحبكم إياه من سفارة لندن!..**

وكان سؤالا محرجا.. ولكنه كان أيضا سؤالا فى الصميم.. ومع ذلك.. فقد أبتسم فؤاد سراج الدين.. وقال أيضا في بساطه:

- أحنا رفضنا هذا التعيين رفضاً حاسما.. ولكن الملك أصر، وعينه بنفسه.. ثم وجدنا أن هذه المسالة صغيرة، لا تستحق أن نعطيها من الاهتمام ما ينسينا قضيتنا الكبرى..

الشعب لا يفهم فى الدستور

وسألته:

- **أليست في اعتباراتكم اعتداء على الدستور.**

وضحك سراج الدين وهو يقول:

- **الدستور.. هي البلد دي بتفهم في المسائل الدستورية..**

وألقى برأسه إلى الوراء كمن يتذكر أياما ماضية ثم قال:

- **عندما وقعت الأزمة بين الملك وبين النحاس فى الوزارة الماضية بشأن حق إعطاء الألقاب.. كانت هذه أزمة دستورية لاشك فيها، فقد كان رأينا أن الملك لا يمنح ألقابا ألا بناء على طلب حكومته.. ومنع ذلك، مع كونها أزمة دستورية.. فقد استطاع الملك أن " يسرح" شيوخ الأزهر فى البلاد، وأن يوعز إليهم بأن يخطبوا فى المساجد ضد النحاس، ويوقعوا فى روع الشعب أن النحاس يؤيد أن يصبح ملكا يمنح الرتب والنياشين. وللأسف.. فهم الشعب هذا.. واضطررنا إلى التراجع، لان الشعب لا يفهم كثيراً فى المسائل الدستورية..**

والتفت فؤاد سراج الدين إلى فجأة.. ثم سألني مغيرا مجري الحديث:

- **فيه ضباط كثير معاكم؟.**

قلت:

- **نعم.. من جميع الأسلحة..**

فعاد يسألني محاولا أن يخفي ما أدركته أنا من سؤاله، وهو أنه كان على علم بصورة ما بحركة الأحرار..

- **أظن كان فيه سلاح.. تعبان!!**

واجبته على الفور:

- **لا.. غير صحيح.. فجميع الأسلحة الآن مستعدة لاتخاذ موقف نراه.. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على إمكان الاستناد إلى الجيش.. فهذا الجيش هو جيش الشعب وأن يكون بأى حال جيشا للمكل.. وعليكم أن تتخذوا أى موقف قوى.. وعلينا نحن أن نقف إلى جواركم..**

ورأيت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا، ونظرت لمحت فيها بعض الشك والارتياب..

ولم يكن أمامي الا أن أندفع فى حماسي مبينا أخطاء الملك، وجرائمه حتى يطمئن إلينا.. ويتكلم..

وفعلا شعرت أن نظراته قد تغيرت... وبدأ يتكلم بصراحة أكثر كثيراً...

كان يحاول أن يعرف منى تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدي استعداداتهم . وحقيقة الثورة الكامنة في داخل الجيش..

ثم ترك موضوع الضباط، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والأحزاب والوطنية والسياسيين...

وفجأة.. اعتدل فى جلسته، وسألني سؤالا.. لم أكن قد أعددت نفس للإجابة عليه بحال من الأحوال..

كأن سؤالاً ماكرا فى صيغته.. وفي طريقة المفاجأة التى وجهه بها إلى، فؤاد سراج الدين.

أوشكنا أن نقوم بالحركة في مارس 1952

- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة.
- سراج الدين يستدرجنا لصبح وزيراً للحربية.
- حيدر وطه حسين..
- 12 شيشكلي..
- اللعب على الحبلين..
- سنعمل وحدنا..

أن المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين" باشا" وبين البكباشى أحمد أنور فى أواخر ديسمبر من عام 1951، والتي تركنا لأحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الأخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش...

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائيا أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه.ز ولكن هذه الأهمية جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الأرض التى نمشى عليها، قبل أن نقدم على خطوتنا.

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الأمل فى إمكان قبول الوفد لما نعرضه عليه.ز ولكن هذا لم يمنعه من السعي إلى الوفد هذا السعي الحميد.. ولو أن الوفد قبل أن يكون الشرارة التى تطلق الثورة، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث.. ولكنه لم يقبل.. وسأترك للبكباشى أحمد أنور إتمام حديثه الذي نشرنا بدايته في الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه.. وكيف أثر هذا التخاذل فى الأحداث المتلاحقة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام 1952... والتي شاهدتها مصر فى مطلع عام 1952.. والتى انتهت بظهور الثورة وانتهاء عهد الفساد..

قال البكباشى أحمد أنور...

كنت قد مهدت الجو تماما لكى يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة فى شخصي فيتكلم ويفصح، ولا يخشي أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له.

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرني بأني أصبحت فعلا موضع ثقته.. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية في موضوعات سياسية ووطنية محاولا إيهامي بأنه يذكر لى أسراراً خطيرة لا ينبغي أن تذكر الا لمن يكونون في الموضع الأول من ثقة الرجل فيه..

وفجأة سألني السؤال الذي لم أكن قد توقعت يوجه إلى ولا أعددت نفسي للإجابة عليه..

قال لى فؤاد سراج الدين فى بساطة:

- **مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش؟**

قال: قيادة الجيش.. ولم يقل قيادة الحركة.. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس.

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله ألا بعد انصراف من منزله.. عندما جلست استعيد ما دار في الجلسة حرفا حرفا لكى أقدم تقريري إلى البكباشى جمال عبد الناصر=== من وضع == سؤالا إلى جوار الآخر أنه لم يكن يسألني مجرد سؤال برئ عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش دائما كان يقصد تماما إلى معرفة وقت حركة الضباط الأحرار.

أدركت هذا بعد خروجي من منزل سراج الدين.. وحمدت ا   عند ذلك كثيراً.. فعلي الرغم من مفاجأته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على، دون أن أدري لذلك سبباً، الحذر الطبيعي الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الأعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق..

فلابد لى أن أجيب.. وألا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسي فى اكتسابها.. ولم يكن ممكنا أن أجيب لان شخص قائد كان لابد أن يظل سرا حبيسا لا يعلم به أحد.

ووجدت نفسي أختار أسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الأحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن إذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأي قدر من الارتياب..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله:

- **أعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش واللواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان..**

وهز سراج الدين رأسه وقال لى:

- **اختيار موفق**

ولم أفهم هذه الكلمة أيضا، فقد كنت لا أزال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه..

ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى أسم" قائد حركة الضباط الأحرار" وأراد أن يصل عن طريقي إلى معلومات أخرى أعم وأشمل.. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكان لا يسال سؤاله الا بعد أن يمهد له كثيرا..

هذا كله أدركته بعد انصرافي من منزله أما أثناء وجودي فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه..

حيدر وطه حسين !

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثاني بالحديث عن الفريق حيدر باشا وكان طرق هذا الموضوع أمرا طبيعيا ما دمت قد حددت له أسم القائد الجديد..

فأخذ يتحدث عن انتخابات الناي الأولي، ثم قال:

- **أنتم خذلتمونا في مسالة حيدر..**

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الأسلحة الفاسدة، ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم إرادة الحكومة.

وقال سراج الدين:

- **لقد قلنا للملك أن أعاده حيدر ستؤدى إلى كارثة وأن الضباط جميعا سيثورون... ولكنه عندما أعاده، ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى مصطفى نصرت ـ مما أوجد الوزير فى حرج شديد، وشلنا فى موقفنا من الملك شلالا كاملا.**

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصنيف الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت إلى حكومة الوفد وأضعفت موقفها.

وأردت أن أطمئن سراج الدين، بافهمامه أن ما حدث لا يعبر مطلقا عن رأى الجيش.. وأن هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط.. ثم قلت له..

- **أننا لو أتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا.**

ورأيت فؤاد الدين يبتسم، فاستطردت قائلا:

- **لانه ـ على الأقل ـ يفهم فى السياسة..**

وضحك سراج الدين ثم قال:

- **على كل حال أنتم صفقتم لحيدر..و أحرجتمونا**

وفي الحال، قال لى:

- **هل سمعتم عن اتجاه النية إلى التخاص من بعض الضباط؟**

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا.

12 شيشكلى

وقلت له: **لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب" أزاى تسيب 12 شيشكلى قاعدين فى الجيش؟!".**

وطرب سراج الدين لهذه الإجابة .. ثم سألني:

- **زي مين ؟**

ولما وجدني تلكأت فى الإجابة .. أستطرد هو قائلا:

- **أنك تستطيع إذا عرفت الأسماء وكانت تهمكم أن تبلغني شخصيا بما تعرف.. فقد أستطيع أن أكون مفيدا!**

وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش.. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدي من معلومات لكي يشعر الملك بأنه على علم بكل شئ ثم ستغل هذا فى الوصول إلى هدفه الذى يسعي إليه كثيراً.. وهو أن يكون وزير الحربية.. فقد كان همه فى تلك الأيام أن يقنع الملك بأنه إذا أصبح وزير للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة..

من أنتم؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعدااده لكى يكون مفيدا لنا إذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور:

- **أرجو الا تهتم معاليك كثيرا بالأسماء.. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش.. وأنك أنت الذى تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أي وقت إذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد آزركم تجاه الملك، في أيه خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها .**

وطرق سراج الدين.. ثم قال:

- **يعنى؟!**

فأجبته:

- **يعنى أننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك**

فقال:

- **إذا أقالنا الملك؟!**

قلت له:

- **تتمسكون بمركزكم وتتركون الباقي لنا.. فالجيش كله على استعداد للوقوف إلى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا موازرا..**

وابتسم سراج الدين وهو مطرق.. ثم قال:

- **ربنا يسهل.. وأن كان رأيي الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة.**

وانتهت المقابلة بذلك.. وتوجهت إلى البكباشى جمال عبد الناصر، فرويت له كل تفاصيلها..

اللعب على الحبلين

ولنعد إلى حديث الحركة.ز فقد درسنا موقف بعد ذلك على ضوء هذه الإجابة الواضحة من سراج الدين.. وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد أخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت.. وأنه أراد أن يبقى أكمرها سرا بينه وبيننا.. وبين مصطفى النحاس..

والواقع أن هذا الموقف من الوفد قد أثر تأثيراً كبيراً فى الأيام التى تلت ذلك..

فقد كانت حوداث القنال تتفاهم يوما بعد يوم. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح ألا وطنيته وأيمانه، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من أعباء الجهاد ضد الجيش كبير كامل التسلح.. وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوم.. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد..

فقد كانت تساير الملك، وتعبئ الشعب.. والملك خائف من الشعب متآمر عليه، والشعب حانق على الملك ثائر عليه.. والحكومة تريد أن تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين.

ولم يكن لنا بد من الانتظار، لان هذه الحكومة لا تريد أن تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واقرار الأمور، وإيقاف الملك عند حده، أو الإطاحة به، والسير بالكفاح فى طريقه القويم.

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى.. حريق القاهرة.. حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البلاد، وأطاح بسمعتها ومكن القوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة دون انتظار ولا توقع من أحد..

وكيف كان لنا أن نتوقع حادثا كهذا..

لقد فوجئنا به.. واعترانا الوجوم أياما... ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا، بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا..

كنا نريد أن يتبين الطريق، وأن نعرف كيف نضرب ضربتنا، بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولي لمصر، ومن خراب اقتصادي، وذهول شعبي، وانتكاس كامل، وسيطرت الرجعية بصورة لا مثيل لها على كل مرافق البلاد..

وبدأنا نلاحظ ونراقب..

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما استقرت عنده أفكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق، عقب الحادث مباشرة.. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح إلى غير ما ينساق به فى المساء.

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا.. وفكر فى الهرب من البلاد، وأعد نفسه للسفر فعلاً.. ووجدنا أنفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى آيه لحظة، ومهما كانت الظروف والعقبات.

سنعمل وحدنا

واجتمعنا، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس 1952، أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع.. ووضعنا خطتنا كاملة.. وكنا قد راعينا فيها الأساس الأول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الأولي للحركة، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا، دون الاعتماد على آيه هيئة أو جماعة أو حزب فقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات، قد أثبتت لنا بصورة قاطعة أنه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدي إلى جانبنا..

وأتخذنا هذا الموقف لاكثر من أسبوع.. موقف التأهب لتأمل للقيام بالحركة فى أى وقت..

صورة

ولكن الأسبوع الذى مر به بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد فقد أقيلت وزارة على ماهر.. أو استقالت مرغمة.. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالي، وبأسلوب جديد.. وهدأت مخاوف فاروق، وقرر البقاء فى البلاد.. ووجدنا أن فرصتنا تكون أكبر إذا انتظرنا قليلا حتى تنكشف الأمور، ويفيق الشعب من الذهول الذى أوجدته الأحداث فيه وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس.. وكان هذا هو التأجيل الأخير..

صفعات للقصر في معركة نادي الضباط

- حيدر و المراغى يتدخلان باسم القصر.
- ثورة الضباط.
- رشاد مهنا يتهرب من الأحرار.
- مصرع ضابط.
- المراغى بعد حيدر.
- قرارات وانتصارات.

مثلما كان حادث 26 يناير مفاجأة كبيرة لنا، فقد كان أيضا حافزا على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية، لان وقوع هذا الحادث كان إيذانا ببدء عهده من النكبات والكوارث، والإرهاب الملكي فى البلاد. وكان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه، وكنا قد رتبنا أنفسنا على أن نضع هذا الحد. ومهما كانت عواقب المخاطرة.

ومع ذلك ، فلم نكن عند وقوع حادث 26 يناير، نجهل حقيقة قوتنا.. فقد كنا كما أسلفت قد أختيرانا قوتنا جيدا عن طريق عملية الحصر الكاملة التى قام بها جمال وعبد الحكيم كما أننا كنا قد درسنا" تقدير الموقف" الذى قام به عبد الحكيم دراسة أقنعتنا أننا قادرون على العمل..

ولكن هذا لم يكن كل ما بين أيدينا.. فقد كنا قد خضنا تجربة ونجحنا فى أجزائها الأولي نجاحا أقنعنا تماما بأننا نستطيع أن نقود الجيش قيادة كاملة يوم نحدد القيام بالحركة.. كما أن انتصارنا فى هذه التجربة، كان فى حد ذاته انتصارا للفكرة الشعبية بين الضباط، فكان انتصارا من النوع الذى يشحذ الهمة ويغري بمواصلة العمل..

كان كل ضابط يشعر أنه عمل عملا، ونجح فيه وفرض رأيه فرضا كاملا،، وكان هذا وحده كفيلا بإذكاء النخوة، وإشعال الحماس.

ولم تكن التجربة التى خضناها معركة بسيطة.. بل كانت أضخم معركة واضحة مكشوفة بيننا وبين القصر.. كانت المعركة المعروفة بمعركة نادي الضباط.

ففى ديسمبر من كل عام، كان الضباط يجتمعون فى جمعية عمومية بناديهم، لانتخاب رئيس النادي وأعضاء مجلس إدارته.

وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد فرغت تماما من اختيار القائد الذى يقود الثورة أمام الشعب، يوم تقوم المعركة.. وكان هذا القائد، كما قلت فى صفحة سابقة، هو اللواء أركان حرب محمد نجيب..

وعلى الرغم من أننا احتفظنا بهذا الاختيار سرا بيننا، فلم يعلن حتى الرجل نفسه.. فقد كان لابد مع اقتراب الزمن والموعد المبدئى الذى حددناه للحركة من أن نخطر اللواء نجيب بهذا الاختيار، وأن نسمع منه الموافقة على مشاركتنا هذا العمل الجريء.. كما كان لابد لنا أيضا أن نركز عليه الأضواء فى مناسبات مختلفة.. لكى تأتى قيادته لحركة الضباط أمرا عاديا طبيعيا منطقيا فى أعين الجميع..

ورأى جمال أن معركة انتخابات نادي الضباط هى أول فرصة يمكن أن تلقى بها أضواء كبيرة على شخص القائد.. وقررنا تبعا لذلك أخطاره بكل ما انتوينا القيام به، واشراكه فى عمليتنا الأولى إشراكا كاملا..

واخطرنا اللواء" نجيب" بما اعتزمناه.. ثم أبلغناه أننا سنرتب الأمر على ترشيحه رئيسا لنادى الضباط وعلى ترشيح فئة معينة من رجالنا لعضوية مجلس إدارة النادي..

لطمة للقصر

وكان هذا العمل يحوى فى طياته أمرين:

الأمر الأول أننا أردنا أن نوجه لطمة واضحة قاسية للقصر.ز إذ كان القصر مصرا على أن يكون رئيس النادي هو اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود.. ولما كان حسين سرى عامر، هو الرجل الذى حل محل اللواء نجيب عندما رؤى إقصاؤه عن سلاح الحدود إلى سلاح المشاة، فقد كان ترشيحنا لنجيب، هو فى حد ذاته وبغض النظر عن كل نتائجه يعتبر تحديا صريحا لإدارة الملك..

واختيار لقوتنا

أما الأمر الثاني، فهو أننا أردنا أن نقود معركة انتخابات النادي قيادة كاملة، لنعرف بالضبط مدى الحماس الذى تقابل به حركتنا، ومدي قوتنا بين الضباط. لا على أساس الحصر النظري... ولكن على أساس التجربة العملية الواضحة..

س فالمعركة ستقوم بيننا وبين الملك.. ونحن نعرف ضباطنا.. ولكننا أيضا يجب أن نطمئن إلى مدي تحمسهم واندفاعهم في تأييدها عندما يصبح هذا التأييد خطرا صريحا يتهدد الضباط... وعندما تكون المعركة مكشوفة بين كل ضابط.. وبين القسر..

فالمعركة إذن ـ معركة النادي ـ ليست معركة مقصورة لذاتها، ولكنها معركة لها أهداف خفية أولها هدف ظاهر وهدف خفي.. فأما الظاهر فهو زلزلة الهيبة الملكية فى البلاد بأن يخوض الضباط معركة سافرة ضد الملك.. وأما الهدف الخفي أو الأهداف الخفية، فأهمها معرفة حقيقة قوتنا وتسليط أقوى مجموعة من الأضواء على شخص اللواء نجيب.. الرجل الذى تقرر أن يقود حركة الأحرار..

القصر يتدخل

ويبدو أن إدارة الجيش ومخابرات القصر قد شمت إذ ذاك رائحة معينة، تفيد أن الضباط ينكتلون لإسقاط مرشح القصر فى انتخابات النادي..

وكان لا بد بالطبع أن يشيع هذا الأمر.. فانتخابات النادي مسالة علنية تستعمل فيها الدعايات، ويخوض حديثها الضباط.. ولا يمكن قصر عمليتها على الضباط الأحرار المنظمين فى التشكيل دون غيرهم.. ولكننا لم نكن نتوقع أن تكون استجابة القصر لنا أشبع سريعة وحاسمة بالصورة التى ظهرت بها..

فقد فوجئنا فى يوم من أيام شهر ديسمبر.. بقرار أصدرته رياسة الجيش بإلغاء انتخابات النادي وتأجيل موعدها إلى أجل غير مسمي...

بدء المقاومة

وكان هذا القرار هو بدء التجربة...

كان رشاد مهنا إذ ذاك عضوا فى مجلس إدارة النادي القديم. وكان جمال عبد الناصر رغم ما يعرفه عن رشاد مهنا قبل ذلك، شديد الأمل فى أن يستطيع إدماج رشاد مهنا فى معركة النادي بصورة واضحة..

فالتقى جمال برشاد.. ووجد منه تحمسا لمقاومة هذا القرار، الذى يعتبر لطمة موجهة إلى الضباط جميعاً..

وكان لابد إذن من مقاومة.. ومن أجراء خطير..

وجعلنا جمال.. وقال أن الضباط الأحرار لا يستطيعون صبرا بعد هذا.. وأن أي تلكؤ فى اتخاذ عمل إيجابي سريع ضد رغبات القصر قد يؤدي إلى انتكاس حماسة الأحرار.. ولابد لذلك من عقد الجمعية العمومية للضباط فى موعدها.. لابد من أن يتم ذلك رغم أنف إدارة الجيش.. ولتكن فرصة تعرف فيها على وجه التحقيق.. مدي ما لنا من قوة ومن تأثير..

وكان البعض فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة.. فقد كان عبد الحكيم مثلا فى العريش..

وإذا بالمجموعة كلها تتلقى أوامر جمال عبد الناصر، بأعداد مناطقها فورا.. والحضور إلى القاهرة.. فى إجازات..

وتم ذلك.. واكتملت المجموعة الرئيسية للأحرار.. أو ما عرف بعد ذلك بمجلس القيادة... فى القاهرة.. وبدأنا نعمل.. بقيادة جمال عبد الناصر..

وفى الموعد المحدد لاجتماع الجمعية العمومية، تم الاجتماع. وقرر الضباط وجوب تحديد موعد سريع لأجراء الانتخابات.. ثم انفضوا للاستعداد للمعركة..

كانت هذه أولى انتصاراتنا.. فقد كسبنا جولة كبيرة بعقد هذا الاجتماع فى موعده رغم أنف رياسة الجيش.. هى جولة معركة الثقة..

وبانتصارنا فى هذه الجولة شعر القصر بأنه أمام قوة ليس من السهل عليه أن يتلاعب بها وقرر رجاله أن خسارتهم للجولة الأولى يمكن أن تنقلب انتصارا فى الجولة الثانية.. والجولة الثانية هى أجراء الانتخابات فعلا,, ونتيجة هذه الانتخابات تحدد المنتصر وتحدد المهزوم.

ويبدو أن القصر كان على يقين من انتصاره.. وأنه فى الوقت نفسه لم يكن قد اعد نفسه لتحدى شعور الضباط جميعا بالوقوف فى سبيل أجراء الانتخابات.. وعلى أى حال، فقد حددت رياسة الجيش موعد الانتخابات بعد شهرين.. وبدأت بذلك المعركة الانتخابية..

مصرع ضابط

وفى خلال هذين الشهرين، وقع حادث 26 يناير المشئوم، وحادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه المعروف..

وأن كان حادث حريق القاهرة قد جاء مفاجأة مذهلة لنا بحيث لم نستطع أن نصنع حياله شيئا.. فقد استطعنا إيذاء الملك إيذاء بالغا فى حادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه..

فلم يكد هذا الضابط يغتال، حتى أصدرت الرقابة أمرها بعدم نضر نبأ مصرعه فى الصحف.. ومعني هذا الا تشعر البلاد بجريمة كهذه تقع جهارا نهارا.. وبأيدي رجال السراي...

ولكن جمال لم يعبـأ بمنع النشر، وأنما أصدر أمره إلى ضباط جميع الأسلحة بنعية نعيا رسميا باسم أسلحتهم.. وصدر النعي.

وانتصاراتنا

واجتمع الضباط فى الموعد المحدد لأجراء الانتخابات..

فكان أول ما صنعوه، هو اقتراح وقف الاجتماع خمس حقائق حدادا على مصرع الشهيد عبد القادر طه..

وكان هذا هو أول مظهر للتحدى فى داخل الاجتماع..

وجاءت الخطوة الثانية.. خطوة رفض تمثيل سلاح الحدود.. إذا بالأمر لا يكاد يعرض حتى يرفض.. وبالإجماع!

ثم جاءت الخطوة الثالثة.. وكانت نتائجها قد بدأت تكون مؤكدة بعد نجاحنا فى الخطوتين الأوليين..

صورة

الانتخابات.. ونتيجة الانتخابات..

أجمع وشاه إجماع على انتخابا محمد نجيب رئيسا للنادي وأغلبية ساحقة لمن يسملهن القائمة التى قد رشحنها .

ثم ما يوسف بأنه" ضربة معلم" إذ أننا رشحنا فى هذا الاجتماع الفريق حيدر باشا.. رئيس شرف للنادي فوافق الضباط بالإجماع...

وكان لهذا المرشح مغزاه وكان له معنوية أيضا.. فقد حطمنا به جبهة القصر تحطيما كاملاً.. إذ أن اللواء حسين سرى عامر ظن أن إقصاء سلاح الحدود قد تم بالاتفاق مع الفريق محمد حيدر.. أو بالتآمر معه كما قال، فذهب من فوره إلى الملك يشكون له من حيدر ويتهمه بأنه تآمر مع الضباط ضده وضد سلاح الحدود..

وفى الواقع أن اتخاذ القرار الإجماعي بعدم تمثيل سلاح الحدود قد أزعج القصر وازعج حسين سرى عامر بصورة لا مثيل لها، فقد اعتبر حسين سرى عامر هذا الموقف صفعة علنية وجهت إليه من ضباط الجيش .

محـــاولات

وظننا نحن أن المعركة يمكن أن تنتهي هكذا.. وأن هذه الهزائم المتتالية للقصر ورجاله كفيلة بأن ترد لهم عقولهم، وأن تحول بينهم وبين ارتكاب حماقات أخرى تضيف إلى هزائمهم هزائم جديدة.

ولكن ما قدرناه لم يكن هو الصواب..

فقد ركب القصر رأسه، وأخذته العزة بالآثم، وأصدر أمره صريحا قاطعا إلى الفريق محمد حيدر بأن يتخذ أى أجراء يلزم لكى يظفر سلاح الحدود بمقعد فى مجلس إدارة النادي.. وأن عليه فى حالة فشله فى ذلك، أن يقوم بحل مجلس الإدارة المنتخب فورا..

صدرت هذه الأوامر لحيدر.. فأرسل فى طلب القائمقام رشاد مهنا، ثم أرسل فى طلب اللواء محمد نجيب رئيس النادي.. وفى صراحة ووضوح بسط لهما الموقف كاملا، وطلب منهما أن يعملا أى شئ لقبول عضو فى المجلس يمثل سلاح الحدود.. واقترح رشاد مهنا حلا للأشكال قبول عضو مستمع فى المجلس ورفض محمد نجيب هذا الطلب، وقال أن هذا الأمر من حق لجمعية العمومية وحدها، وأنه لا يستطيع البت فيه.

وعاود الفريق محمد حيدر محاولته مع اللواء نجيب، وأفهمه أن قرار حل مجلس الإدارة معد فعلا.. وأن عليه أن يرى حلا للمسألة، وأن هذا الحل الذى اقتراحه رشاد مهنا يمكن أن يضع حدا لهذه الأزمة..

وقبل نجيب قبول عضو مستمع، مشترطا لذلك شرطي...

- موافقة مجلس إدارة النادي على ذلك..
- أن يكون هذا العضو مؤقتا إلى أن تجتمع الجمعية العمومية للنادي، وتقر الأمر أو تلغيه..

ثورة الضباط

وكان انعقاد الجمعية العمومية للنادي، فى هذه المرة صفعة ثانية أليمة للقصر ولرجل القصر حسين سرى عامر.

ففى هذا الاجتماع خرج الضباط عن كل حد.. هاجموا القصر هجوما علنيا عنيفا، وقالوا أن النادي هو نادي الضباط وحدهم، وأنهم لن يسمحوا لقوة كائنة ما كانت أن تتدخل فى شئونه على أن أى وجه من الوجوه..

وفى فوره الحماس المتأجج والثورة العارمة.. أخذت الأصوات.. وإذا بالجمعية العمومية تقرر بالإجماع رفض قبول حسين سرى عامر كممثل لسلاح الحدود بالجيش..

وخروجه فورا.. وتوجيه اللوم الشديد لمجلس الإدارة على قبول عضو مستمع بدون أخذ رأى الجمعية العمومية لأعضاء النادي..

ولم يكن أحد يتصور أن يقف الضباط هذا الموقف العنيف الثائر..

كنا نعلم أنهم سيعارضون، وأنهم سيرفضون قبول ممثل سلاح الحدود ولكننا لم نكن نتصور هذه الثورة، وهذا الكلام الجارح العلني الموجه للقصر، وهذا العنف والتشديد الذى يصل إلى حد توجيه الموم لمجلس غدارة النادي الذي أولوه ثقتهم الكاملة..

رشاد يهرب

ويبدو أن رشاد مهنا بعد ذلك أحسن أن الموضع قد دخل فى دور جديد، هو دور التحدى العلني بالفعل والقول معا.. وكان رشاد ـ فى الوقت نفسه ـ قليل الثقة فى نجاح الثورة.. لانه لم يكن يعلم حتى ذلك الوقت بما اتخذناه فعلا من الخطوات.. ويبدو أن هذه الزعزعة فى ثقته بإمكان وقوع ثورة.ز قد دفعته إلى النأى بنفسه عن مواضع الشبهات.. فقد فوجئنا ذات صباح بقرار صادر من مدير سلاح المدفعية بنقل القائمقام رشاد مهنا إلى العريش..

وكنا نعتقد أن رشاد لابد أن يبقى فى القاهرة،وأنه سيكلف بدور معين فى حركة الأحرار.

وكان جمال فى ذلك الوقت قد بدأ يضع خطته النهائية.. فلما علم بهذا القرار.. تملكه الضيق، وصمم على إلغاء هذا النقل.. واستعدى إليه صلاح سالك، وكان فى رفح، وطلب منه أن يذهب إلى حيدر ويحاول معه بأية وسيلة إلغاء هذا النقل، موهما إياه أن هذا النقل لابد أن == بين الضباط كأنه بدء حركات انتقامية من أعضاء مجلس إدارة النادي ذهب صلاح، وكلم حيدر فى الأمر.. واتصل حيدر أمام صلاح وسلاح المدفعية يسأله:" لماذا نقلت رشاد إلى العريش" وكيف لم == بذلك!

إذا بالحقيقة المولمة تبدو سافرة فى لحظة واحدة.. فقد أجاب مدير == المدفعية فورا بان رشاد مهنا شخصيا هو الذى طلب هذا النقل.. يستأذن مدير السلاح الفريق محمد حيدر فى القدوم إليه فورا واطلاعه على الطلب المقدم من رشاد مهنا بنقله..

لكن صلاح لم يكن يستطيع أن يصدق ما يسمع، فأصر على أن يرى ما.. وفى دقائق، جاء مدير السلاح، ومعه طلب مقدم من رشاد مهنا== إلى العريش!!

وكان هذا الموقف من رشاد مهنا سببا فى اتخاذ جمال عبد الناصر قرارا بما، باستبعاد رشاد مهنا نهائيا من أى عمل إيجابي يقوم به الأحرار..

المراغى بعد حيدر

على أن القصر لم يكن قد يئس بعد.. فلم يكد حيدر يفضل معنا مسائل التهديد والإقناع، حتى عاود القصر الاتصال بنجيب عن طريق == المراغى وزير الحربية فى ذلك الوقت..

واستدعى المراغى نجيبا، وطلب منه أن يحل هذا الأشكال.. وألا يخرج عنده الا وقد وعده بأن يقنع الضباط بمسالة قبول حسين سرى عامر مجلس إدارة النادي..

وكنا على علم بما كاف به للمراغي.. آني لا أستطيع شيئا.. وان كنتم تريدون منى استقبل.. فلا مانع لدى!!

وكانت هذه هى أخر الجولات الخاصة بقبول حسين سرى عامر عضوا خلق إدارة النادي.. ولكنها لم تكن بأخر المعارك ولا آخر القصص..

فقد تلا هذا الموقف عدد من القصص المسلية التى كانت تظهر لنا اتجاهات القصر ورجاله ومدى التخبط الذى أوقعوا فيه أنفسهم..

ولعل من ألطف القصص التى وقعت فى ذلك الوقت قصة شاركتنا فيها المطربة المعروفة.. شهرزاد..

ولابد من شئ من الترويج عنك أيها القارئ على كل حال...

كان سلاح المشاة قد دعا إلى أقامه حفلة ترفيه لجنوده.. وكان كما هو معروف هو مدير سلاح المشاة فى تلك الفترة..

ودعا نجيب إلى الحفل كلا من الفريق محمد حيدر، و" معالي" مرتضى المراغى" باشا".

وأذ كانت المنافسات إذ ذاك قد بلغت أشدها بين المراغي وبين حيدر.. فقد غضب حيدة لدعوة المراغى وقرر الا يحضر الحفل..

وكانت مطربة الحفل هى المطربة شهرزاد..

وكان مقررا أن تذاع الحفلة.. وكانت محطة الإذاعة قد أرسلت ألانها فعلا إلى مكانها.

وفجأة صدرت الأوامر من حيدر إلى محطة الإذاعة.. ووقع التفاهم بين حيدر وبين كريم ثابت.. بعدم إذاعة الحفل..

وبينما تتأهب شهرزاد للغناء على المسرح.. وجدن مذيع الإذاعة ومهندسيها يفكان الميكرفون.. ويرفعانه.. ويعودان به..

وسألت شهرزاد: ما الخبر؟!

قيل لها: تقرير الا تذاع الحفلة

ولم تكن شهرزاد بالطبع تستطيع أن تفطن إلى أن هناك حركة فى الجيش تغضب القصر، وأن هذا الأجراء مقصود به مسائل سياسية من أى نوع كان وأنما كانت تفهم فقط أن الإذاعة قد استكثرت عليها أن تغنى من مكان عام.. وفى حفلة من حفلات الجيش على الخصوص..

بل لقد ذهبت بها الظنون ألف مذهب، وتصورت أن لبعض المطربات دخلا فى منع إذاعتها، ، وأن لبعض موظفي الإذاعة دخلا أيضا فى هذا المنع..

وبالطبع لم يكن هناك شئ من كل هذا.. ولكن أيضا لم يكن هناك يستطيع إقناع شهرزاد بأن تغنى أبداً.. فقد صممت على عدم الغناء، أنها مطربة لها كرامتها، ولها صوتها، وليست أقل من أحد.. وأما أن تمنع الإذاعة حفلتها.. أو لن تغنى أبداً...

أما نحن، فكنا جد حريصين على نجاح الحفل، رغم هذه الفعلة التى عملها حيدر..

وكان لابد من المصارحة.. مصارحة شهرزاد بكل شئ.. وسار أليها سبب.. وقال لها أن ما حدث لا صلة له بك ولا بغيرك من المطربات.. أنه لجنة مؤامرة تدبر لنا.. وأن الذين يدبرونها هم الكبار جداً.. وأنك تغنين اليوم أنما تغنيين لاربعة آلاف ضابط وجندي، كلهم يسعدهم أن تفشل هذه المؤامرة..

ويا للمصرية الشجاعة المعاندة..

لم تكد شهرزاد تشعر أن هناك نوعا من التحدى للكبار جدا.. كما قال نجيب.. حتى أخذت الأمر مأخذا جديدا.. فقررت أن تغنى لا كما == مفروضا فحسب.. ولكن إلى الصباح...

الثـــورة ليلــة التنفيـــذ

- كمال الدين حسين يخرج بلا سلاح.!
- لماذا عينا رشاد مهنا وزيرا ووصيا على العرش
- مثل للسياسيين
- الخطأ الوحيد...
- يوم مجيد...
- ذكريات خالدة...

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة.. وكانت هذه السرعة فى حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صلة بمسرح الأحداث.. فالحوداث عندما تسرع وتتلاحق يخشى أن ينفلت زمامها، بحيث تتحكم هى فى الذين يصنعونها..

والحوادث أيضا عندما تسرع وتتلاحق، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها..

وهكذا كانت أحداث شهر يوليو من عام 1952. الأحداث التى سبقت يوم الثورة.. كانت سريع متلاحقة، وكانت تجرى فى اكثر من اتجاه، وتجرف أمامها أكثر من تيار، وتنتاب بدوارها كل الرؤوس...

كان الملك فى حالة أقرب إلى الجنون.. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادي تحديا صريحا له، ومنذ وقف ضباط الجيش فى ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادي للملك، ومنذ بدت فيهم

روح الاستهتار الذى لا حدود له بالعرش، وبالتالي بكل القوى التى كان العرش يستند إليها.. وخصوصا قوته البوليسية التى كان فاروق يمنحها كل ثقته.. منذ وقعت كل هذه الأحداث، والملك لا يقر له قرار..

ولم يكن تأثير هذه الحالة فى الملك يقتصر على تصرفاته الشخصية فحسب، ولا على علاقته بالجيش وقيادة الجيش فحسب، وأنما انعكست هذه الحالة على الموقف السياسى والموقف الوزاري

فأصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف، أو من آمال فى العثور على الحلول.

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف. ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه.. وفى هذه الدوامة الصاخبة، كنت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان.. كانت تعد اليوم الذى عرفه العالم كله، وسجله التاريخ.. يوم الثورة..

يوم الثورة...

والأيام التى سبقت يوم الثورة...

قد لا يكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن أذكر لهم تفاصيل الخطة التنفيذية للثورة.. فهي تفاصيل عسكرية، كأي خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة، أو إقرار وضع.

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا..

لان ما مر بنا فى تلك الأيام، وما مر بنا فى تلك الليلة بالذات، هو التاريخ الحقيقي للناس وللشعب، وللأوضاع التى سيطرت على البلاد حقبة طويلة من الزمن..

لكأن السنين جميعا كانت ترسب رواسبها مصفات الزمن, لتتراكم هذه الرواسب كلها فى فترة قصيرة .. هى تلك التى تسبق يوم 23 يوليو... وكأن صراع الشعب وآماله قد

تجمعت أيضا خلال الأعوام الطويلة الكئيبة, كلى تقود خطى الجيش والشعب فى ذلك اليوم التاريخي المجيد.

وفى خلال كل ذلك تقع مفارقات, وحوادث صغيرة, وتصرفات شخصية قد نذكرها اليوم فنبتسم ونضحك, ونحمد ا .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال... حتى تنتهى.!

مع القصر وجها لوجه

لقد كان القصر فى تلك الأيام لا يزال شاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة.. ولكنه كان يريد أن يبطش بنا, استعادة لمكانته التى رأى أنها اهتزت اهتزازا شديدا. وقطعا للطريق علينا, لأنه كان يعتقد أننا وأن كنا أضعف من أن نقوم بحركة كاملة فنحن على كل حال نستطيع أن نكون التمهيد الأول للحركة الكاملة..

كان هو يعتقد هذا.. وكنا نحن نغذى فيه ذلك الأعتقاد بالأساليب الكثيرة التى اتخذناها, لتضليله وتضليل رجاله فى القصر, وفى الجيش..

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا وكان يدبر لهذا الفتك.. فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة, للفتك به, بعرشه وحكم أسرته للبلاد...

ماذا بعد الثورة؟

كنا قد انتهينا من ذلك تماما.. وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعد مرة أيضاً.. وكنا أيضا قد انتهينا إلى قرار...

ففيما يتعلق بالثورة نفسها, وبتنفيذ خطتنا, كان قرارنا هو أن ينفرد الجيش بكل شئ.. فقد قام جمال بالاتصالات كافية مع جميع الهيئات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا للثورة, وإذا بالنتيجة الوحيدة التى يخرج بها, هى أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع أعباء التنفيذ. جميع الهيئات والأحزاب التى اتصل بها, قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة, ولا مستعدة لعمل أى شئ, بل على ما فيها من رجعية أصيلة وحده خليقا بدفعها إلى خيانة الثورة, ولو أنها استطاعت إلى ذلك سبيلا...

ومع ذلك فقد بقى علينا أن نفكر فيما بعد الثورة.. فيما يخاف التنفيذ ماذا نصنع؟

هل نحكم؟

هل نسلم الأمر للشعب يصرفه كيف يشاء؟

ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الأمر للشعب, ريثما يختار الشعب ممثليه؟

سؤال يقضى على السؤال الأول قضاء مبرما؟

فهل نسلم الأمر للسياسيين..؟

وأى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة؟

وعلى أي أساس يحكمون؟!

وجعلنا نقلب الأمور.. نضع كل فرض ثم ندور حوله, نتلمس أوجه القوة فيه وأوجه الضعف..

وينهار الفرض الأول, فنبحث عن الفرض الثانى...

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى:

أن الجيش لا يحكم, وإنما يقوم بالثورة, ثم يسلم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير..

أما كيف..واى أنواع المدنيين.. فلم نستطع أن نقرر شيئا محددا معينا.. وأنما اكتفينا بأن نقرر مبدئيا، أعادا البرلمان المحلول، وكان هو نفس برلمان سنة 1950، الذى جاء بأغلبية وفدية، وترك الحكم لحزب الأغلبية يصرفه ريثما تجرى أول انتخابات نظيفة فى مصر..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استراحتا إليه، وشعرنا حياله بالعزة الكاملة، وروعة المثل الأعلى..

أليست ثورة على الأوضاع القديمة كلها...

فماذا كان الطابع المميز للأوضاع القديمة؟!

كان شيئا واحد ظاهرا.. الجهاد فى سبيل الحكم، لا الجهاد فى سبيل المثل الأعلى، أو فى سبيل الصالح العام..

الأحزاب كانت هكذا..

والهيئات كانت هكذا..

والمستقلون والأفراد كانوا هكذا..

كل كان يسعى إلى الحكم، ليحقق به مصالح شخصية وحزبية.. وكل كان يجعل الصالح العام فى المرتبة الثانية على أقل تقدير..

ولذلك أردنا أن نضرب للشعب مثلا جديدا، أردنا أن نقدم له صورة جديدة يرى فيها وجوه أبنائه المخلصين، لا وجوه حكامه المفسدين..

أردنا أن نقول له، لقد أنجبت أفرادا يستطيعون أن يحاكموا فى سبيلك لا فى سبيل أنفسهم.. وأن يصلوا إلى الحكم فى سبيلك لا فى سبيل أنفسهم.. ولكنهم لا يحكمون.. لا يحكمون لانهم ـ حقيقة ـ لم يعملوا فى سبيل الحكم، ولكن عملوا فى سبيلك ـ ولك أنت وحدك بعد ذلك أن تحكم، وأن تختار ما يحكمون.

لم يكن أحدا يترك الحكم مختارا.. فأردنا أن نتركه مختارين.. أن نتركه والشعب يدمى أيديه تصفيقا لنا، ودفعنا بنا إلى مقاعد الحكم.. أن نتركه وقد حققنا الأمنية الأولى لكل مصرى عاش فى خلال القرن الأخير.. أمنية الخلاص من حكم أسرة محمد على وملوك أسرة محمد على.

أردنا أن نضرب مثلا للسياسيين.. مثلا يقنعهم بالدليل الواقعى القاطع، بأن الوضع كله قد تغير.. تغير من أساسه إلى الحد الذى أصبح الحاكم يترك الحكم فيه فى يوم نصره الكبير..

أردنا أن نقول له، لقد أنجبت أفرادا يستطيعون أن يكافحوا فى سبيلك معا، مادام الحاكم لا يقصد به الا مصلحة الوطن، وأننا لذلك نترك كم أو نترفع عنه.. نأباه لانفسنا لأننا لا نريد أن نحكم، وأنما نريد لمصر تحكم حكما صالحاً.. وأن تكون نحن بعض جنود هذا الحكم الصالح السرية..

واعتقدنا أننا إذا فعلنا ذلك، فقد قضينا على كل أمل للسياسيين فى ينظروا إلى الحكم كوسيلة للكسب أو الإثراء أو استغلال النفوذ.. فإن مع المثل الصالح أمام أعينهم كفيل بدفعهم إلى احتذائه أو التمثيل به.

الخطأ الوحيد

وكم كنا طيبي بسطاء.. وكم كنا متفائلين.

لقد قدرنا كل شئ من أعمالنا العسكرية، فأحسنا التقدير ولم نخطئ واحدة..

ولكننا قدرنا فى هذه المرة، فأخفقنا الواقع.. وغلب فينا التفاؤل على حقيقة الواقع..

عندما نصل إلى الحديث عما تلا الثورة من الأحداث، سيأتى تفصيل كاملا.. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر شهرا، ولماذا تولينا ، وكيف أردنا أن نعيد البرلمان القديم، وكيف قررنا إجراء الانتخابات فى فبراير 1953،أى بعد ستة أشهر فقط من الثورة..

كنا نريد أن نغلب فى الواقع الكريه على أمره. كنا نريد أن ننتصر على شئ حتى على خبث النفوس..

لكن هذا سنتركه اليوم.. نتركه كما تركناه يوم فكرنا فيه، ثم لم نستقر على رأى، حتى أدرنا عيوننا وجهة أخرى.. بدأنا نعد للتنفيذ، حسب الأحداث..

يـوم مجيـد

وجاء يوم 23 يوليو، ليظهر لنا أشياء كثيرة.. ليظهر لنا أن تقديراتنا كانت صحيحة تماما.. وأن ا كان يرقب حركتنا، ويقدر لها معنا كل ما يكفل لها النجاح.. وأن الشعب كان كله فى انتظار القيادة التى تقوده إلى النصر... فينتصر..

ولعلى لست مستطيعا أن أؤرخ تاريخ شاهد العيان للأيام التى سبقن 23 يوليو مباشرة.. فقد كنت إذ ذاك فى رفح.. وعندما وصلنى الأمر من جمال بالعودة، عدت مباشرة، ولكنى لم أكن أفطن أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها.. ولعل القراء يدهشون إذا أروى لهم أنى جئت من السفر، وتوجهت مباشرة إلى أحدى دور السينما.. فما أن عدت فى منتصف

الليل إلى منزلى، حتى وجدت إشارة التنفيذ، فلم البث لحظة واحدة، وأنما مضيت من فورى إلى القيادة.

وهناك أصبحت نكتة تروى، ونادرة يتندر بها الأخوان...

فما أن يسأل واحد مهم فى أى من اجتماعاتنا ـ حتى اليوم ـ أين أنور حتى نجد من يجيب: فى السينما..

ولذلك اقتصر على ما رايته، وما شاركت فيه قبيل الحركة واثنائها.

تهديد نجيب

ولعل أخطر ما مر بنا قبيل الحركة، كان المحاولة الأخيرة من القصر، التى انتهت بقرار حل مجلس إدارة النادى..

فقد أرسل القصر إلى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من القاهرة.. وكان مغزى هذا النقل، هو إجباره على الاستقالة، أو دفعه إليها.. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول أن يغريه بكرسى الوزير، وكان علينا أن نحافظ على بقائه ضابطا معنا، بعد أن استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة.

واجتمعنا فى تلك الأيام، وبحثنا الأمر، ثم توجه جمال إلى نجيب، وطلب منه الا يستقبل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا به، وأن يعمل على المحافظة نفسه، وعلى مركزه فى الجيش، بأى ثمن وبأية وسيلة.. وطلب منه فى حالة عرض الوزارة عليه أن يرفضها..

وافق نجيب على ذلك.. وفعلا لم يخضع لعوامل التهديد، ولا لعوامل ، ولم يقبل شيئا مطلقا..

كان لهذا الرفض طبعا عواقبه.. إذ ترتب عليه صدور القرار بحل من إدارة النادى، وأن يقوم محمد نجيب بتسليم النادى لأخيه، واللواء نجيب.. على أن يتكون للنادى بعد ذلك مجلس إدارة مؤقت..

هذه طبعا كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة..

ذكريات

فى يوم الحركة، لكل منا ذكريات... وذكريات..

فى ذلك اليوم نفسه، كان جمال وكمال الدين حسين ـ مثلا ـ لا يزالان أن بالتدريس فى كلية أركان الحرب فعلا.. ولم يبد عليهما الضباط أى ... رغم أن خطة تنفيذ الحركة نفسها، كان مستقرة مطمئنة فى جيب فى جمال..

يذكر كمال الدين حسين، أنه فى نفس يوم 23 يوليو ظهرا، كان يناقش فى طلبة الكلية.. وأخذ الطلبة يسألونه أسئلة، إذا به يذكر أن هناك ما عليه، أهم من مناقشة الطلبة، والإجابة على أسئلتهم فى ذلك اليوم ما يتهرب من إجاباتهم، و" يكلفت" الشرح" كلفتة" ظاهرة، وطلبته ودهش.. لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعلمه == فيه بكل صغيرة وكبيرة..

ولكن هؤلاء الطلاب، رأوا كمال بعد الحركة لكى يحاسبوه على هذه " لفتة" التى لم تغب عنهم، والتى لم يكونوا يدركون فى ظهر ذلك اليوم يجب فيه.. وكان يستغربون..

ولا يكاد كمال يذكر هذه القصة، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه== الليلة.. وليس معه سلاح.. فهو يروى أنه أتتفق مع جمال على أن == جمال ببعض الأسلحة ليخرج بها هو ورجاله.. وتأتى ساعة التنفيذ، فلجا كمال، أن جمالا لن يستطيع تزويده بالأسلحة لان المخزن الذى كان على أخذ السلاح منه كان مغلقا..

وقال كمال الدين حسين.. وتوكلت على ا واخذ رجاله معه، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة... ومضوا إلى سلاح المدفعية.. سلاح كمال.. ومن هناك أخذ كل ضابط سلاحه، وخرجوا إلى عمليتهم.. إلى عمليتهم..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون..

يذكر جمال سالك وصلاح سالم ذكريات من رفح ومن العريش...

موقف رشاد

فقد كان جمال فى العريش، وكان صلاح فى رفح.. وإلى كليهما وكلت عمليات الثورة فى ذلك القطاع..

وكان أدق ما يواجههم هناك، هو وجود رشاد مهنا، الذى كان بالعريش، ولم يكن على علم بشئ عن الثورة حتى تم تنفيذها فعلا.

وكان على جملا سالم أن يتولى هو قيادة العملية كلها هناك.. برغم أنه طيار، وأن صلته ليست وثيقة بضباط الجيش بطبيعة الحال.

ويذكر جمال سالم أنه طلب معونة رشاد مهنا، فرفض أن يذهب فى تلك الليلة، رفض أن يذهب إلى قيادة القوة أو أن يظهر بأى صورة من الصور..

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا.. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأى عمل من أعمال الأحرار.. وكان رشاد نفسه متتاعدا نائبا بنفسه عن الشبهات، ولكنه مع ذلك، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية، بأنه وراء كل إصلاح يجرى فى داخل الجيش، وكان قد كسب بذلك ثقتهم.. ولك لم يكن سهلا علينا أن ننزع هذه الثقة، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتمل مجادلات، وكان هذا يعنى أن نحافظ على صلتنا برشاد، ودية سليمة، محافظة منها على القوة التى كانت تؤمن به، وتثق فيه..

وجاء.. فى موكب

وعند ما نجحت الثورة فى القاهرة، أصدرت قيادتنا أوامرها رشاد بأن يبقى فى العريش وأن يقوم بقيادة الفرقة هناك..

ولكن رشاد لم يخضع لهذا الأمر.. بل عاد إلى القاهرة فى يوم 25 يوليه، ودخل إلى القيادة فى موكب من الضباط والحرس، ثم سافرا إلى إسكندرية، ليحضر خروج الملك باعتباره مشتركا فى العملية وفى قيادتها..

اتقن رشاد دوره حتى ظن أكثر الضباط أنه عمود كبير جدا من أعمدة ، وذهبوا يرددون ما كان يختلقه لنفسه من أدوار وهمية عظيمة..

ولا شك أن هذا التصرف قد أثر فينا فى ذلك اليوم فالمهم هو لنجاح الثورة فقط.

... أما جمال، فقد دعا إليه رشاد، وكلمه على انفراد، ولامه كثيرا هذا التصرف، حتى اعتذر رشاد.. وبكى..

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك، وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين رشاد مهنا على العرش.. وكانت أسباب هذا التعيين هى؟ أولا تعيين أحد الضباط وصيا على ألا يكون هذا الضابط من أعضاء مجلس القيادة مع نحتفظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس.. وثانيا لان رشاد كان بطبعه فى المظهر الكبير، وكان هذا المنصب كفيلا بإرضاء نزعاته..

وفعلا، علينا رشاد وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا..

وذهب جمال سالم إليه ليبلغه بذلك.. فإذا به ـ أى رشاد ـ يبكى == ويقول وهو يشرق الدموع.. أنا لا استحق كل هذا أنا منذ الآن، خادم المجلس.. وخادم الثورة..

قال هذا.. ولكن..

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كله تهتف بحياة الثورة، وبينما تلقت أصواتها الحبسة تطالب بل إصلاح، وتلعن عن فهمها لحقيقة صورة الكبيرة، وأنها لا يمكن أن تكون مجرد عملية لاخراج فاروق.. كما كان الكادحون يبثون آلامهم للقادة، والقادة آمالهم للشعب كان رشاد مهنا، وطغمة الإقطاعيين والسياسيين، قد بدأوا فى نفس وقت يتآمرون على الثورة.. وعلى حقوق الشعب..

لقد نجحت الثورة. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها.. أليس لكل ناجح أرباح، وألم يكونوا وحدهم الذين يستولون على الأرباح من الشعب؟..

وهذه قصة بدأنا بها المذكرات.. ولا بأس من أن نختمها بها أيضا..

فـهـــرس

صحيفة